تفسير القرطبي

سورة فصلت

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:		**المكان:**	

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى:-

"سُورَةُ فُصِّلَتْ مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ الْجَمِيعِ، وَهِيَ أربع وخمسون، وقيل: ثلاث وخمسون آية. قَوْلُهُ تَعَالَى: {حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} قَالَ الزَّجَّاجُ:" تَنْزِيلٌ" رُفِعَ بِالِابْتِدَاءِ، وَخَبَرُهُ" كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ" وَهَذَا قَوْلُ الْبَصْرِيِّينَ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ رَفْعُهُ عَلَى إِضْمَارِ هَذَا، وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ:" كِتَابٌ" بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ:" تَنْزِيلٌ"، وَقِيلَ: نَعْتٌ لِقَوْلِهِ:" تَنْزِيلٌ"، وَقِيلَ:" حم" أَيْ هَذِهِ" حم"، كما تقول باب كَذَا، أَيْ هُوَ بَابُ كَذَا، فَ" حم" خَبَرُ ابْتِدَاءٍ مُضْمَرٍ أَيْ هُوَ" حم"، وَقَوْلُهُ:" تَنْزِيلٌ" مبتدأ آخر، وقوله:" كِتابٌ" خبره" فُصِّلَتْ آياتُهُ" أَيْ بُيِّنَتْ وَفُسِّرَتْ."

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

إعراب حم مبني على أن لها معنى أو لا معنى لها، فإن كان لها معنى كما قال ذلك جمع من أهل العلم وأن الحاء ترمز إلى شيء، والميم اختصار لبعض الأسماء الحسني، ومنهم من يقول: هذا اسم السورة، ومنهم من يقول.. إلى آخره من الأقوال التي تقدمت مرارًا، أما الذي يقول: إنها حروف مقطعة ولا معنى لها، والله أعلم بمراده بها فهذا لا محل لها من الإعراب حينئذ، وإذا قلنا: إن لها معنى فلابد أن نقدر لها خبرًا، قلنا هي مبتدأ، أو نقدر لها مبتدأً إن قلنا: هي خبر لمبتدأ محذوف كما يقدر مبتدأ لباب، يعني في أبواب العلم، كتب العلم يقول: باب كذا، باب خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا باب، وقد يقدرونه إذا كان مضافًا لما بعده مبتدأً وخبره محذوف، وقد- وهذا على قلة- يُقدر فعل يعمل فيه النصب، يقال: باب كذا.

والكرماني اختار أنه يمكن أن يسكن، باب، ولا يكون له إعراب، وإنما من باب التعداد فقط باب كذا وباب كذا وباب كذا، التعداد فقط، فيسكن حينئذ.

طالب: .....

نعم، الاختلاف في عدد الآيات أربع وخمسون وقيل: ثلاث وخمسون، مر بنا مرارًا أنه ليس هذا سببه أن هناك زيادة ونقصًا في هذه الأقوال من الآيات، إما نقص على اعتبار ثلاث وخمسون، أو زيادة على اعتبار أربع وخمسون، لا، إنما هو تبع للخلاف في عد البسملة هل هي آية ترقم أم لا ترقم، وهل حم آية منفردة أو هي مع ما بعدها آية واحدة، يختلفون في هذا، ولا يؤثر زيادة ولا نقصًا في القرآن.

"{فُصِّلَتْ آياتُهُ} أَيْ بُيِّنَتْ وَفُسِّرَتْ، قَالَ قَتَادَةُ: بِبَيَانِ حَلَالِهِ مِنْ حَرَامِهِ، وَطَاعَتِهِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ. وقال الحسن: بالوعد والوعيد، وقال سفيان: بالثواب والعقاب، وقرئ" فصلَتْ" أَيْ فَرقَتْ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، أَوْ فُصِلَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ بِاخْتِلَافِ مَعَانِيهَا، مِنْ قَوْلِكَ: فُصِلَ أَيْ تَبَاعَدَ مِنَ الْبَلَدِ{قُرْآناً عَرَبِيًّا} فِي نَصْبِهِ".

يعني فصل أي تباعد من البلد، يعني انفصل، أصله انفصل، انفصل بالفعل المطاوع، وأصله بان منه وبعد عنه.

"فِي نَصْبِهِ وُجُوهٌ، قَالَ الْأَخْفَشُ: هُوَ نَصْبٌ عَلَى الْمَدْحِ. وَقِيلَ: عَلَى إِضْمَارِ فِعْلٍ، أَيِ اذْكُرْ" قُرْآناً عَرَبِيًّا". وَقِيلَ: عَلَى إِعَادَةِ الْفِعْلِ، أَيْ فَصَّلْنَا" قُرْآناً عَرَبِيًّا". وَقِيلَ: عَلَى الْحَالِ أَيْ" فُصِّلَتْ آياتُهُ" فِي حَالِ كَوْنِهِ" قُرْآناً عَرَبِيًّا". وَقِيلَ: لَمَّا شُغِلَ" فُصِّلَتْ".

وهذا الأقرب أنه حال، حال كونه قرآنًا عربيًّا.

" بِالْآيَاتِ حَتَّى صَارَتْ بِمَنْزِلَةِ الْفَاعِلِ انْتَصَبَ." قُرْآناً" لِوُقُوعِ الْبَيَانِ عَلَيْهِ. وَقِيلَ: عَلَى الْقَطْعِ." {لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} قَالَ الضَّحَّاكُ: أَيْ إِنَّ الْقُرْآنَ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَقَالَ مُجَاهِدٌ: أَيْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَقِيلَ: يَعْلَمُونَ الْعَرَبِيَّةَ فَيَعْجِزُونَ عَنْ مِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَ غَيْرَ عَرَبِيٍّ لَمَا عَلِمُوهُ.

قُلْتُ: هَذَا أَصَحُّ، وَالسُّورَةُ نَزَلَتْ تَقْرِيعًا وَتَوْبِيخًا لِقُرَيْشٍ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ."

يعني القول الأخير يعلمون العربية لديهم علم العربية من نزل عليهم القرآن، ومع ذلك يعجزون عن الإتيان بمثله أو بعشر سور أو بسورة منه، هذا على سبيل التحدي.

"بَشِيراً وَنَذِيراً" حَالَانِ مِنَ الْآيَاتِ، وَالْعَامِلُ فِيهِ" فُصِّلَتْ"، وَقِيلَ: هُمَا نَعْتَانِ للقرآن"، بَشِيراً لأولياء الله، " نَذِيراً" لأعدائه.

وقرئ: {بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ} صِفَةٌ لِلْكِتَابِ أَوْ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، {فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ} يَعْنِي أَهْلَ مَكَّةَ، {فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ} سَمَاعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ."

السماع المنفي السماع النافع الذي تترتب عليه آثاره، أما سماعهم الذي لا تترتب عليه أثار، ولا ينتفعون به فهو موجود بحيث إذا قلت: يا فلان، التفت إليك دليل على أنه يسمع، لكنه سماع لا ينفع.

" وَرُوِيَ أَنَّ الرَّيَّانَ بْنَ حَرْمَلَةَ قَالَ: قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ وَأَبُو جَهْلٍ: قَدِ الْتَبَسَ عَلَيْنَا أَمْرُ مُحَمَّدٍ، فَلَوِ الْتَمَسْتُمْ رَجُلًا عَالِمًا بِالشِّعْرِ وَالْكِهَانَةِ وَالسِّحْرِ فَكَلَّمَهُ ثُمَّ آتَانَا بِبَيَانٍ مِنْ أَمْرِهِ، فقال عتبة بن رَبِيعَةَ: وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ الْكِهَانَةَ وَالشِّعْرَ وَالسِّحْرَ، وَعَلِمْتُ مِنْ ذَلِكَ عِلْمًا لَا يَخْفَى عَلَيَّ إِنْ كَانَ كَذَلِكَ. فَقَالُوا: إِيتِهِ فَحَدِّثْهُ فَأَتَى النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- فَقَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ قُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ؟ أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ هَاشِمٌ؟ أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ؟ أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ اللَّهِ؟ فَبِمَ تَشْتُمُ آلِهَتَنَا، وَتُضَلِّلُ آبَاءَنَا، وَتُسَفِّهُ أَحْلَامَنَا، وَتَذُمُّ دِينَنَا؟ فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ الرِّيَاسَةَ عَقَدْنَا إِلَيْكَ أَلْوِيَتَنَا، فَكُنْتَ رَئِيسَنَا مَا بَقِيتَ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْبَاءَةَ زَوَّجْنَاكَ عَشْرَ نِسَاءٍ مِنْ أَيِّ بَنَاتِ قُرَيْشٍ شِئْتَ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ جَمَعْنَا لَكَ مَا تَسْتَغْنِي بِهِ أَنْتَ وَعَقِبُكَ مِنْ بَعْدِكَ، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رِئْيًا".

رَئِيًّا.

رَئِيًّا؟

نعم.

"رَئِيًّا مِنَ الْجِنِّ قَدْ غَلَبَ عَلَيْكَ بَذَلْنَا لَكَ أَمْوَالَنَا فِي طَلَبِ مَا تَتَدَاوَى بِهِ أَوْ نُغْلَبُ فِيكَ، وَالنَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- سَاكِتٌ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: «قَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ» قَالَ: نعم. قال: «فاسمع منى»، قال: يا ابن أخي أَسْمَعُ. قَالَ: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. حم. تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} إلى قوله: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ

صاعِقَةِ عادٍ وَثَمُودَ} [فصلت: ١٣] فَوَثَبَ عُتْبَةُ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى فَمِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وَنَاشَدَهُ اللَّهَ وَالرَّحِمَ لَيَسْكُتَنَّ، وَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَى قريش، فجاءه أبو جهل، فقال: أَصَبَوْتَ إِلَى مُحَمَّدٍ؟ أَمْ أَعْجَبَكَ طَعَامُهُ؟ فَغَضِبَ عُتْبَةُ وَأَقْسَمَ أَلَّا يُكَلِّمَ مُحَمَّدًا أَبَدًا، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِ قُرَيْشٍ مَالًا، وَلَكِنِّي لَمَّا قَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ أَجَابَنِي بِشَيْءٍ وَاللَّهِ مَا هُوَ بِشِعْرٍ وَلَا كِهَانَةٍ وَلَا سِحْرٍ، ثُمَّ تَلَا عَلَيْهِمْ مَا سَمِعَ مِنْهُ إِلَى قَوْلِهِ: { مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَثَمُودَ} [فصلت: ١٣]، وَأَمْسَكْتُ بِفِيهِ وَنَاشَدْتُهُ بِالرَّحِمِ أَنْ يَكُفَّ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا إِذَا قَالَ شَيْئًا لَمْ يَكْذِبْ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمُ الْعَذَابُ، يَعْنِي الصَّاعِقَةَ.

وَقَدْ رَوَى هَذَا الْخَبَرَ أَبُو بَكْرٍ الْأَنْبَارِيُّ فِي كِتَابِ الرَّدِّ لَهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، وَأَنَّ النَّبِيَّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قَرَأَ" حم. فُصِّلَتْ" حَتَّى انْتَهَى إِلَى السَّجْدَةِ فَسَجَدَ، وَعُتْبَةُ مُصْغٍ يَسْتَمِعُ، قَدِ اعْتَمَدَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، فَلَمَّا قَطَعَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- الْقِرَاءَةَ قَالَ لَهُ: «يَا أَبَا الْوَلِيدِ قَدْ سَمِعْتَ الَّذِي قَرَأْتُ عَلَيْكَ فَأَنْتَ وَذَاكَ»، فَانْصَرَفَ عُتْبَةُ إِلَى قُرَيْشٍ فِي نَادِيهَا فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي مَضَى بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ، ثُمَّ قَالُوا: مَا وَرَاءَكَ أَبَا الْوَلِيدِ؟ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ كَلَامًا مِنْ مُحَمَّدٍ مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَاللَّهِ مَا هُوَ بِالشِّعْرِ وَلَا بِالْكِهَانَةِ، فَأَطِيعُونِي فِي هَذِهِ، وَأَنْزِلُوهَا بِي، خَلُّوا مُحَمَّدًا وَشَأْنَهُ وَاعْتَزِلُوهُ، فَوَاللَّهِ لَيَكُونَنَّ لِمَا سَمِعْتُ مِنْ كَلَامِهِ نَبَأٌ، فَإِنْ أَصَابَتْهُ الْعَرَبُ كُفِيتُمُوهُ بِأَيْدِي غَيْرِكُمْ، وَإِنْ كَانَ مَلِكًا أَوْ نَبِيًّا كُنْتُمْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ؛ لِأَنَّ مُلْكَهُ مُلْكُكُمْ وَشَرَفَهُ شَرَفُكُمْ. فَقَالُوا: هَيْهَاتَ، سَحَرَكَ مُحَمَّدٌ يَا أَبَا الْوَلِيدِ. وَقَالَ: هَذَا رَأْيِي لَكُمْ فَاصْنَعُوا مَا شِئْتُمْ."

ليس بعجيب أن يتأثر الوليد وهو عربي يفهم الكلام ويتذوقه، ليس هذا بأعجب من تأثر الأعاجم به، الأعاجم الذين لا يعرفون من العربية ولا حرفًا، كثير ممن أسلم، أسلم لسماع القرآن وهو لا يفهم منه حرفًا، فالقرآن لا شك أنه مؤثر لغير العرب، فكيف بالعرب؟

لكن هو شفاء لمن أراد الله إيمانه، وهداية لمن أراد الله هدايته، والذي لا يريد الله هدايته لا تنفع فيه الأسباب -والله المستعان-.

طالب:..... يقول: عندنا وروي أن الذيال قال في الحاشية .....

اسمه؟

طالب: الذيال.

الذيال

طالب: نعم، قال الحاشية في وقعت.....

الذيال.

طالب"عندنا ....

بالذال ولا بالزاي.

طالب: عندنا بالزاي.

الزيال.

طالب: قال .. الزيال.. قال جابر بن عبد الله.

معلق على شيء أم ماذا قال؟

طالب: قال في أصل الريان والتصويب في مسند من المصادر قال، قال جابر بن عبدالله ...والذي سقط أثبتناه من المصادر.

نعم.

طالب:.....مسند أبي يعلى وتفسير البغوي عن الزيال بن حرملة عن جابر ...صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وهو حديث حسن .....

طالب: لابد من مراجعة.

نحتاج إلى مراجعة، وهذا اللبس فيه كثير ممن يقلب الذال زايًا، نعم يقلب الذال زايًا، تجده من شدة تحريه وحرصه يقلب الذال زايًا، اعتاد أن يقلب الذال زايًا في كلامه العادي، فإذا أراد أن يحتاط ويتأكد من الأمر بالغ من شدة تحفظه العكس، يعني كثير من الأخوة يسمع إن المرآة

تسمي معزبة فتجده يقول: معذبة؛ من شدة حرصه واحتياطه لهذا الأمر؛ لأنه اعتاد قلب الذال زايًا، فهذا موضوع موجود في بعض الجهات، وبناءً على وهمه ولفظه بهذه الكلمة على غير وجهها يقر بأنها بالفعل معذبة.

طالب:.....

مثل الذي صحف العنَزة عنْزة، ثم رواها بلفظ شاه.

طالب: .....

نعم مثله.

على كل حال بالمعجمة، لكن هل زاي أو ذال؟ يراجع.

عبدالله انتبه.

طالب:.....

الرياني بالراء.

طالب: الزيال الزيال.

طالب: بالزاي.

لا، لا بالذال.

طالب: بدون النون

طالب: بدون الزاي

طالب:.....

لا، الكلام هذا الأخير هي نون أم لام؟

طالب: لام.

على كل حال المراجعة تبين هذا.

" قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ} الْأَكِنَّةُ جَمْعُ كِنَانٍ، وَهُوَ الْغِطَاءُ، وَقَدْ مَضَى فِي" الْبَقَرَةِ"، قَالَ مُجَاهِدٌ: الْكِنَانُ لِلْقَلْبِ كَالْجُنَّةِ لِلنَّبْلِ، "وَفِي آذانِنا وَقْرٌ" أَيْ صَمَمٌ، فَكَلَامُكَ لَا يَدْخُلُ أَسْمَاعَنَا".

طالب: هذا الكلام كالجعبة.

كماذا؟

طالب: كالجعبة.

كالجعبة جعبة السهام.

طالب:....؟؟؟

كالجنة أم كالجعبة.

طالب: جنة.

طالب: نسخ .... تفسير مجاهد وتفسير الطبري.....

على كل حال حتى على الجنة صحيح، وهو ما يجتن به، تجمع فيه، وتغطي؛ لأنه أجنها وأكنها.

"وَفِي آذانِنا وَقْرٌ" أَيْ صَمَمٌ، فَكَلَامُكَ لَا يَدْخُلُ أَسْمَاعَنَا، وَقُلُوبُنَا مَسْتُورَةٌ مِنْ فَهْمِهِ" وَمِنْ بَيْنِنا وَبَيْنِكَ حِجابٌ" أَيْ خِلَافٌ فِي الدِّينِ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، وَهُوَ يَعْبُدُ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ-. قَالَ مَعْنَاهُ الْفَرَّاءُ وَغَيْرَهُ. وَقِيلَ: سَتْرٌ مَانِعٌ عَنِ الْإِجَابَةِ. وَقِيلَ: إِنَّ أَبَا جَهْلٍ اسْتَغْشَى عَلَى رَأْسِهِ ثَوْبًا وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ. اسْتِهْزَاء مِنْهُ. حَكَاهُ النَّقَّاشُ، وَذَكَرَهُ الْقُشَيْرِيُّ، فالحجاب هنا الثَّوْبُ.

{فَاعْمَلْ إِنَّنا عامِلُونَ}".

قلوبهم مغطاة وطبع عليها، وختم عليها، فلا يستمعون سماعًا مما يدعون إليه سماعًا ينفعهم وينتفعون بها إلا من أراد الله هدايته. قلوبنا في أكنة طبع عليها، وختم عليها –والله المستعان–.

"{فَاعْمَلْ إِنَّنا عامِلُونَ} أَيِ اعْمَلْ فِي هَلَاكِنَا، فَإِنَّا عَامِلُونَ فِي هَلَاكِكَ، قَالَهُ الْكَلْبِيُّ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: اعْمَلْ لِإِلَهِكَ الَّذِي أَرْسَلَكَ، فَإِنَّا نَعْمَلُ لِآلِهَتِنَا الَّتِي نَعْبُدُهَا وَقِيلَ: اعْمَلْ بِمَا يَقْتَضِيهِ دِينُكَ، فَإِنَّا عَامِلُونَ بِمَا يَقْتَضِيهِ دِينُنَا، وَيَحْتَمِلُ خَامِسًا: فَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ فَإِنَّا نَعْمَلُ لِدُنْيَانَا، ذكره الماوردي".

هنا لم يذكر إلا أربعة أشياء، ما ذكره خامسًا هو الرابع.

طالب: .....

نعم.

طالب:.....

طالب: عندنا رابع يا شيخ؟

مصححة ما هي بالنسخ، تصحيح، وإلا في الأصل خامسة.

طالب: ذكر القاضي قال ولم يذكر المصنف إلا أربعة...

هو لم ذكر إلا أربعة وقوله: يحتمل خامسًا هذا موجود في النسخ الأصلية، وهم من المصنف عدها خمسة، وهي أربعة في الحقيقة، ثم عاد المعلق قال: ولعل الخامس ما ذكره الكشاف، يعني الزمخشري في الكشاف: فاعمل في إبطال أمرنا فإننا عاملون في إبطال أمرك، يعني كلٌّ يعمل، الصراع موجود، أن تدعو إلى دينك الذي تراه الحق، ونحن نصد الناس عنه، وندعو إلى ديننا كما هو موجود إلى قيام الساعة.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ} أَيْ لَسْتُ بِمَلَكٍ، بَلْ أَنَا مِنْ بَنِي آدَمَ، قَالَ الْحَسَنُ: عَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى التَّوَاضُعَ" يُوحى إِلَيَّ" أَيْ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى أَيْدِي الْمَلَائِكَةِ.

{أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ} فَـ" آمِنُوا بِهِ وَ" فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ" أَيْ وَجِّهُوا وُجُوهَكُمْ بِالدُّعَاءِ لَهُ".

إنما أو لأنما؟

طالب: .....إنما

طالب:.....

القراءة ثانية قراءة المؤلف، والقراءتان مبنيتان على معنى الوحي، إن كان مرادفًا للقول فهي إنما يوحي إليَ قول إنما إلهكم إله واحد، وإن كان الوحي يتطلب مفعولًا واحدًا فإن ما وما بعدها تؤول بالمفعول، تسبق وما بعدها بمفعول، نعم ثم قراءة المؤلف إنما كما معروف قراءة نافع.

"أَيْ وَجِّهُوا وُجُوهَكُمْ بِالدُّعَاءِ لَهُ وَالْمَسْأَلَةِ إِلَيْهِ."

وهذا مثلما كررناه مرارًا أنه يوجد اضطراب فيما يثبت مما ليس في التفسير، يُدخل مقاطع من القرآن، وهي لا توجد في أصل التفسير، التفسير مفرغ من الآيات، إنما المفسر يفسر جملًا وكلمات، لا يفسر آيات كاملة أو مقاطع، فأدخلوا هذه الآيات؛ لكي يستفيد القارئ، يقرأ المقطع كاملًا، ثم يقرأ تفسيره، وليت الذي تصرف وأدخل الآيات أدخل قراءة موافقة لقراءة المؤلف، فلو أدخل قراءة موافقة لقراءة المفسر ما حصل مثل هذا الاختلاف، ومثله كثير مر بنا في كل درس، نعم.

" كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ: اسْتَقِمْ إِلَى مَنْزِلِكَ، أي لا تعرج على شي غَيْرَ الْقَصْدِ إِلَى مَنْزِلِكَ."

أي ألزم الطريق المستقيم الذي هو أقرب طريق يوصل إلى منزلك.

"وَاسْتَغْفِرُوهُ" أَيْ مِنْ شِرْكِكُمْ. {وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} قال ابن عباس: لَا يَشْهَدُونَ" أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" وَهِيَ زَكَاةُ الْأَنْفُسِ".

يعني الداعي لتفسير الزكاة هنا بلا إله إلا الله لا يشهدون أن لا إله إلا الله باعتبار أنها هي التي تحقن الدماء، أما مجرد الزكاة فلابد أن تكون مسبوقة بقوله: لا إله إلا الله محمد رسول الله، مسبوقة بالشهادتين، فكونه ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة مفهومه أنه لو أن المشركين آتوا الزكاة ما يثبت لهم ويل؟

يثبت لهم الويل، ويثبت لهم العذاب، ولا يدخلون الإسلام بمجرد الزكاة، لابد أن يقولوا: لا إله إلا الله، ولذالك قال: قال ابن عباس: لا يشهدون أن لا إله إلا الله، وهي زكاة الأنفس، لكن مع ذلك التنصيص على بعض الفرائض مثل الزكاة ومثل الصلاة وغيرهما من أصول الدين وأركان ودعائم الإسلام لا يعني أنها تغني عن التلفظ بالشهادتين، على ما قاله أهل العمل من أنه إذا صلى فمسلم حكمًا؛ لأن الصلاة متضمنة للشهادة، الصلاة متضمنة للشهادة، وأما ما عداها فلا يدخل بها الإسلام، لو صام ولم يشهد أن لا إله إلا الله فحكمه ليس بمسلم، ولا يحقن دمه حتى يقول: لا إله إلا الله، كما جاء بذلك الحديث الصحيح.

لكن في هذا دليل على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة، كما هو قول الجمهور، هم مشركون، ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة، فهم مطالبون بها كمطالبتهم بأصل الإيمان ومطالبتهم سائر شرائع الإسلام، هذا قول جمهور أهل العلم، جمهور أهل العلم خلافًا للحنفية الذي يرون أنهم غير مخاطبون أصلاً، خلافًا لمن يقولون: إنهم مطالبون بالنواهي دون الأوامر، بالكف عن النواهي دون فعل الأوامر؛ لأن من شرطها الإيمان، من شرطها النية، والنية لا تصح من كافر، لكن عدم وجود المشروط مع عدم وجود الشرط لا يعني أن المشروط مطالب به، فينبني على قول الحنفية أنك إذا رأيت شخصًا والناس يصلون، ما تقول له: صل، تقول له: توضأ، تأمره بالوضوء.

لماذا؟

لأنه كيف يطالب بالصلاة وقبلها شروط، لابد أن يأتي بالشروط قبل المشروط، قبل ما اشترطت له هذه الشروط.

وعلى كل حال هم مطالبون بجميع الفرائض، مطالبون أيضًا بالكف عن النواهي إلا من أقر على دينه بدفع الجزية، وكان ذلك مما يبيحه دينه أصالة لا إحداثًا.

طالب: هذا إذا قالوا فروع....

يعني ماعدا، ماعدا الإيمان، الزكاة فرع من الفروع، الصلاة فرع.

طالب: .....

العميلة، العملية، قالوا: ما سلقكم في سقر، قالوا لم نك من المصلين، ولم نك نطعم المسكين، إلى آخره، ذكروا الفروع.

" وَقَالَ قَتَادَةُ: لَا يُقِرُّونَ بِالزَّكَاةِ أَنَّهَا وَاجِبَةٌ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَمُقَاتِلٌ: لَا يَتَصَدَّقُونَ وَلَا يُنْفِقُونَ فِي الطَّاعَةِ. قَرَّعَهُمْ بِالشُّحِّ الَّذِي يَأْنَفُ مِنْهُ الْفُضَلَاءُ، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أن الكافر يعذب بكفره مَعَ مَنْعِ وُجُوبِ الزَّكَاةِ عَلَيْهِ".

قد يقول قائل: ما الفائدة من مخاطبتهم بالفروع وهم لا يطالبون بها أثناء كفرهم، ما يمكن أن ترى يهوديًّا أو نصرانيًّا أو مشركًا وتقول له: صلِّ، وهو مقر على ديانته بعهد أو أمان أو ما أشبه ذلك.

طالب:....

وإنما الأثر يبين في الآخرة، يزاد في عذابهم على أصل الإيمان تعذيبهم على هذه الفروع.

" وَقَالَ الْفَرَّاءُ وَغَيْرُهُ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُنْفِقُونَ النَّفَقَاتِ، وَيَسْقُونَ الْحَجِيجَ وَيُطْعِمُونَهُمْ، فَحَرَّمُوا ذَلِكَ عَلَى مَنْ آمَنَ بِمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، فَنَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةُ {وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ}، فَلِهَذَا لَا يُنْفِقُونَ فِي الطَّاعَةِ، وَلَا يَسْتَقِيمُونَ، وَلَا يَسْتَغْفِرُونَ.

قال الزَّمَخْشَرِيُّ: فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ خُصَّ مِنْ بَيْنِ أَوْصَافِ الْمُشْرِكِينَ مَنْعُ الزَّكَاةِ مَقْرُونًا بِالْكُفْرِ بِالْآخِرَةِ؟ قلت: لأن أحب شي إِلَى الْإِنْسَانِ مَالُهُ، وَهُوَ شَقِيقُ رُوحِهِ، فَإِذَا بَذَلَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَذَلِكَ أَقْوَى دَلِيلٍ عَلَى ثَبَاتِهِ وَاسْتِقَامَتِهِ وَصِدْقِ نِيَّتِهِ وَنُصُوعِ طَوِيَّتِهِ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ -عَزَّ وَجَلَّ-"..

هذه زادها المحقق، استقامته وصدق نيته ونصوع طويته، زادها أخذًا من تفسير الكشاف، يقول: لأن الحاجة داعية إليها. أقول: المؤلف طالما اقتصر على بعض الكلام دون بعض فلا يجوز أن يزاد في كلامه، ليس من الصواب أن يزاد ولو كان مما يوضح الكلام، لكن الجملة تامة بدونه، فذلك أقوى دليل على ثباته، وانتهى الإشكال، كونه يزاد؛ لأن الأصل فيه الزيادة، لا، لا يبرر ذلك.

"أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ -عَزَّ وَجَلَّ-: {وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ} [البقرة: ٢٦٥] أَيْ يُثَبِّتُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَيَدُلُّونَ عَلَى ثَبَاتِهَا بِإِنْفَاقِ الْأَمْوَالِ".

يعني برهان ثباتهم كونهم ينفقون الأموال في سبيل الله، والذي ينفق المال بطوعه واختياره وجود نفسه قاصدًا بذلك وجه الله -جل وعلا - دليل وبرهان على صدق دعواه.

"وَمَا خُدِعَ الْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ إِلَّا بِلُمْظَةٍ مِنَ الدُّنْيَا، فَقَوِيَتْ عُصْبَتُهُمْ وَلَانَتْ شَكِيمَتُهُمْ، وَأَهْلُ الرِّدَّةِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- مَا تَظَاهَرُوا إِلَّا بِمَنْعِ الزَّكَاةِ، فَنُصِبَتْ لَهُمُ الْحُرُوبُ وَجُوهِدُوا".

كل هذا من باب الشح في المال، هم مع الأسف يشبهم كثير من المسلمين، تجد عنده الأموال الطائلة، ويشح بها، ولا تجود نفسه بنسبة اثنين ونصف بالمائة، لكن يبذل السعي وهو طائع مختار مرتاح، تجود به نفسه، ولا يبذل الزكاة التي هي أحد أركان الإسلام بنفس النسبة، -والله المستعان-.

وَفِيهِ بَعْثٌ لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَدَاءِ الزَّكَاةِ، وَتَخْوِيفٌ شَدِيدٌ مِنْ مَنْعِهَا، حَيْثُ جُعِلَ الْمَنْعُ مِنْ أَوْصَافِ الْمُشْرِكِينَ، وَقُرِنَ بِالْكُفْرِ بِالْآخِرَةِ.

قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: غَيْرُ مَقْطُوعٍ، مَأْخُوذٌ مِنْ مَنَنْتُ الْحَبْلَ إِذَا قَطَعْتُهُ".

قطعتَه.

"إذا قطعتَه، وَمِنْهُ قَوْلُ ذِي الْإِصْبَعِ:

إِنِّي لَعَمْرُكَ مَا بَابِي بِذِي غَلَقٍ ... عَلَى الصَّدِيقِ وَلَا خَيْرِي بِمَمْنُونِ

وَقَالَ آخَرُ:

فَتَرَى خَلْفَهَا مِنَ الرَّجْعِ وَالْوَقْ ... عِ مَنِينًا كَأَنَّهُ أَهْبَاءُ

يَعْنِي بِالْمَنِينِ الْغُبَارَ الْمُنْقَطِعَ الضَّعِيفَ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا وَمُقَاتِلٍ".

والأهباء جمع هباء، وهو الشيء البالغ الغاية في الصغر، والذي يري من فتحة الجدار مع الشمس إذا دخلت الشمس إلى مكان مظلم، هذا هو الهباء.

"وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا وَمُقَاتِلٍ: غَيْرُ مَنْقُوصٍ. وَمِنْهُ الْمَنُونُ؛ لأنها تنقص منه الإنسان أي قوته، وقال قُطْرُبٌ، وَأَنْشَدَ قَوْلَ زُهَيْرٍ:

فَضْلُ الْجِيَادِ عَلَى الْخَيْلِ الْبِطَاءِ فَلَا ... يُعْطِي بِذَلِكَ مَمْنُونًا وَلَا نَزِقَا

قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: وَالْمَنُّ الْقَطْعُ، وَيُقَالُ النَّقْصُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:" لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ" وقال لبيد:

غبس كواسب لا يَمن طعامها

وَقَالَ مُجَاهِدٌ:" غَيْرُ مَمْنُونٍ" غَيْرُ مَحْسُوبٍ وَقِيلَ:" غَيْرُ مَمْنُونٍ" عَلَيْهِمْ بِهِ، قَالَ السُّدِّيُّ: نَزَلَتْ فِي الزَّمْنَى وَالْمَرْضَى وَالْهَرْمَى إِذَا ضَعُفُوا عَنِ الطَّاعَةِ كُتِبَ لَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ كَأَصَحِّ مَا كانوا يعملون فيه."

يعني غير ممنون لا مقطوع، بل مستمر ودائم، ومن غير منة فيه، من غير منة فيه، والله – جل وعلا – يعطي الأجر على ما كان يعمله الإنسان في صحته وإقامته فلا يقطع عن هذا الأجر إذا ترك العمل بسبب شرعي مرض أو سفر أو نحو ذلك، وهو غير مقطوع، وهو لا يمن عليهم به كما يمن الآدمي على نظيره من أجير وخادم ونحوه إذا ضعف عن العمل منَّ عليه بالنفقة، منَّ عليه بالأجرة، منَّ عليه بما يدفعه إليه؛ لأنه يرى أن هذا شيء لا مقابل له.

"قَوْلُهُ تَعَالَى:{قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ} أَإِنَّكُمْ" بِهَمْزَتَيْنِ الثَّانِيَةُ بين، بين".

بين، بين أي بين التحقيق وبين التسهيل.

"و" أَإِنَّكُمْ" بِأَلِفٍ بَيْنَ هَمْزَتَيْنِ، وَهُوَ اسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ التَّوْبِيخُ. أَمَرَهُ بِتَوْبِيخِهِمْ وَالتَّعَجُّبِ مِنْ فِعْلِهِمْ، أَيْ لِمَ تكفرون بالله وهو خالق السموات وَالْأَرْضِ؟!

{فِي يَوْمَيْنِ} الْأَحَدُ وَالِاثْنَيْنِ، {وَتَجْعَلُونَ لَهُأَنْداداً} أَيْ أَضْدَادًا وَشُرَكَاءَ" ذلِكَ رَبُّ الْعالَمِينَ. {وَجَعَلَ فِيها" أَيْ فِي الْأَرْضِ" رَواسِيَ مِنْ فَوْقِها} يَعْنِي الْجِبَالَ وَقَالَ وَهْبٌ: لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ

مَادَتْ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ، فَقَالَ لِجِبْرِيلَ، ثَبِّتْهَا يَا جِبْرِيلُ. فَنَزَلَ فَأَمْسَكَهَا فَغَلَبَتْهُ الرِّيَاحُ، قَالَ: يَا رَبِّ أَنْتَ أَعْلَمُ لَقَدْ غُلِبْتُ فِيهَا فَثَبَّتَهَا بِالْجِبَالِ وَأَرْسَاهَا"، وَبَارَكَ فِيها" بِمَا خَلَقَ فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ. قَالَ السُّدِّيُّ: أَنْبَتَ فِيهَا شَجَرَهَا." وَقَدَّرَ فِيها أَقْواتَها" قَالَ السُّدِّيُّ وَالْحَسَنُ: أَرْزَاقُ أَهْلِهَا وَمَصَالِحُهُمْ. وَقَالَ قَتَادَةُ وَمُجَاهِدٌ: خَلَقَ فِيهَا أَنْهَارَهَا وَأَشْجَارَهَا وَدَوَابَّهَا فِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ وَالْأَرْبِعَاءِ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ وَالضَّحَّاكُ: مَعْنَى" قَدَّرَ فِيها أَقْواتَها" أَيْ أَرْزَاق أَهْلِهَا وَمَا يَصْلُحُ لِمَعَايِشِهِمْ مِنَ التِّجَارَاتِ وَالْأَشْجَارِ وَالْمَنَافِعِ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ مَا لَمْ يَجْعَلْهُ فِي الْأُخْرَى؛ لِيَعِيشَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ بِالتِّجَارَةِ وَالْأَسْفَارِ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ."

لو اتحدت البلدان في المنتوج لما استفاد بعضهم من بعض، لكن هذا عنده نوع، والبلد الآخر عنده نوع آخر، وهذا المزارع يزرع أنواعًا، وذاك يزرع أنواعًا أخرى؛ ليتكامل الناس، مازال الناس إلى وقت قريب يبتاعون السلع بالسلع، حتى إنهم يبتاعون بعض السلع بنواة التمر.

"قَالَ عِكْرِمَةُ: حَتَّى إِنَّهُ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ لَيَتَبَايَعُونَ الذَّهَبَ بِالْمِلْحِ مِثْلًا بِمِثْلٍ."

هؤلاء ما عندهم ذهب، وهؤلاء ما عندهم ملح، وهؤلاء محتاجون إلى الذهب، وهؤلاء محتاجون إلى الملح، كل بلد محتاج إلى البلد المجاور؛ ليتكاملوا.

" وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَالضَّحَّاكُ: السَّابِرِيُّ مِنْ سَابُورَ".

السابري نوع من الألبسة، كلها أنواع من الألبسة تأتي من سابور، والطيالسي من الري، والحبر برود تأتي من اليمن، وأهل سابور ونيسابور يستفيدون من برود اليمن، وأهل اليمن يستفيدون من الطيالسة والسابرية، وهكذا إلى يومنا هذا تجد ما يُعرض في الأسواق من ستة قارات فيه جميع ما يُحتاج إليه من مطعوم ومشروب وملبوس، وجميع ما يحتاج إليه، تجده من القارات الست، وتجد عندهم أيضًا من القارات الأخرى، وهكذا، وهذا سر من أسرار عمارة الأرض، – والله المستعان– نعم.

" وَالطَّيَالِسَةُ مِنَ الرَّيِّ، وَالْحُبُرُ الْيَمَانِيَةُ مِنَ الْيَمَنِ." فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ" يَعْنِي فِي تَتِمَّةِ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ".

لا أنها في أربعة أيام مستقلة إضافة إلى الأحد والإثنين، فتكون ستة، إنما تكمل الأربعة، الأحد والإثنين، ثم قدر فيها أقواتها في الثلاثاء والأربعاء، نظير ما جاء: «من صلى على الجنازة فله

قيراط، ومن تبعها حتى تدفن فله قيراطان» صلى على الجنازة له قيراط، ومن تبعها حتى تدفن له قيراطان، فمن صلى وتبعها حتى تدفن له قيراطان أم ثلاثة؟

طالب:.....

يعني مقتضى ظاهر اللفظ أنه ثلاثة، الصلاة بحسب اللفظ، السياق من صلى على جنازة له قيراط، ومن تبعها حتى تدفن له قيراطان، هل هو مما يضاف إلى قيراط الأول، أو تتمة قيراط الأول؟

قال: الصحيح تتمة؛ لأنه جاءت أحاديث مفسرة وموضحة لهذا؛ وإلا لو قلنا: إن أجر التشييع وأجر الدفن قيراطان لقلنا ثلاثة، وهنا لو لم تكن الأيام الأربعة تتمة لليومين لقلنا: ستة.

"وَمِثَالُهُ قَوْلُ الْقَائِلِ: خَرَجْتُ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى بَغْدَادَ فِي عَشَرَةِ أَيَّامٍ، وَإِلَى الْكُوفَةِ فِي خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، أَيْ فِي تَتِمَّةِ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، قَالَ مَعْنَاهُ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ وَغَيْرُهُ. {سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ} قَالَ الْحَسَنُ: الْمَعْنَى فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ مُسْتَوِيَةٍ تَامَّةٍ".

يعني مثل ما تقول: سافرت إلى الطائف في عشرة أيام، وإلى مكة في اثنى عشر يومًا، يعني إلى الطائف عشرة أيام وإلى مكة اثنى عشر يومًا، هل هي من الطائف أم من الرياض؟

طالب: من الرياض.

من الرياض نعم يعني في تتمة اثني عشرة يومًا.

"قال الْفَرَّاءُ: فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، وَالْمَعْنَى: وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا سَوَاءً لِلْمُحْتَاجِينَ. وَاخْتَارَهُ الطَّبَرِيُّ. وَقَرَأَ الْحَسَنُ، الْبَصْرِيُّ وَيَعْقُوبُ الْحَضْرَمِيُّ: {سَوَاءٍ لِلسَّائِلِينَ} بِالْجَرِّ، وَعَنِ ابْنِ الْقَعْقَاعِ: "سَوَاءٌ" بِالرَّفْعِ، فَالنَّصْبُ عَلَى الْمَصْدَرِ، وَ" سَوَاءً" بِمَعْنَى اسْتِوَاء أَيِ اسْتَوَتِ اسْتِوَاءً، وَقِيلَ: عَلَى الْحَالِ وَالْقَطْعِ، وَالْجَرُّ عَلَى النَّعْتِ لِأَيَّامٍ أَوْ لِأَرْبَعَةٍ، أَيْ" فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ" مُسْتَوِيَةٍ تَامَّةٍ."

في أربعة مستوية، يعني ساعاتها واحدة، ومدتها واحدة، أو أيام متساوية ولا فرق، يعني قد تنعت المضاف، وقد تنعت المضاف إليه، والذي يحدد المراد هو السياق، فإن كان السياق مما يجيز الأمرين كما هنا؛ لأن الأربعة هي الأيام، والأيام هي الأربعة، إذا كان السياق لا يختلف فيه

عطف المضاف عن المضاف إليه؛ لتقاربهما في المعني فلا مانع حينئذ أن يتبع الأول، وأن يتبع الثاني، لكن إذا كان السياق يقتضي التابع للمضاف أو للمضاف إليه، والقرائن هي التي تحدد من حيث المعنى، وقد تتقارب المعاني فيستوي الأمران.

دنى فتدلى، دنى فتدلى، يعني لو قيل في غير القرآن: تدلى فدنى يختلف المعنى؟ ما يختلف المعنى، ونقول مثله في استعمالاتنا العادية: اربط حزام الأمان، أو احزم رباط الأمان، فيه فرق أم ما فيه؟

ما فيه فرق؛ لأن المعاني متقاربة فيجوز حينئذ أن تعيد إلى الأول، ويجوز أن تتبع الثاني؛ لأن المعاني ما تختلف بهذا، لذلك لما أوردوا أن الدنو فرع عن التدلي الأصل أن يقال: فتدلى فدنى، لكن ما فيه ما يمنع إطلاقًا؛ لأن معنى التدلي هو معنى الدنو، فإذا قدمت هذا أو هذا لا يختلف المراد، وهنا أيضًا إذا قلت: سواء تابعة لأربعة أو لأيام لا يختلفون، وهي مجرورة على كلا الحالين، أربعة مجرورة بفي، وأيام مجرورة بالإضافة.

لكن قد يرد إشكال حينما لا تدل القرائن على شيء من ذلك، يعني كما تقول: مررت بغلام زيد الفاضل مررت بغلام زيد الفاضل ، الفاضل هذا وصف لزيد أو وصف للغلام؟ يعني السياق ما يدل على شيء من هذا، ما يدل، قال هذه الجملة، ولا يدرى ما فيها هل يصف الغلام وزيدًا، ولذلك لابد من قرائن تدل على إرادة ما يراد وصفه إذا كان الإعراب بالحروف تميز، وإذا كان الإعراب بالحركات قد يحدث التباسًا.

فمثلًا تبارك اسم ربك ذي، يبقى وجه ربك ذو، هذا ما فيه لبس؛ لأنه متميز، ذي وصف للمجرور، وذو وصف للمرفوع، الأول وصف للمضاف إليه، والثاني وصف للمضاف، لكن مررت بغلام زيد الفاضلِ، لو قيل: جاء غلام زيد الفاضلُ، انتهى الإشكال، الإشكال إذا اتحد المضاف والمضاف إليه في الإعراب، هذا الذي يقع فيه اللبس، ولابد من قرينة تدل على المراد، نعم.

وَالرَّفْعُ عَلَى الِابْتِدَاءِ وَالْخَبَرُ" لِلسَّائِلِينَ" أَوْ عَلَى تَقْدِيرِ هَذِهِ" سَوَاءٌ لِلسَّائِلِينَ". وَقَالَ أَهْلُ الْمَعَانِي: مَعْنَى" سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ" وَلِغَيْرِ السَّائِلِينَ، أَيْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا لِمَنْ سَأَلَ وَلِمَنْ لَمْ يَسْأَلْ".

يعني جميع الناس، وينص هنا على السائلين باعتبارهم أولى من يُعتنى به، والذي لا يسأل كأنه ليس عنده شيء من الاهتمام والاكتراث، فلا يحتاج أن ينص عليه، وهي سواء للسائلين وغيرهم نعم.

" وَيُعْطِي مَنْ سَأَلَ وَمَنْ لَا يَسْأَلُ. قَوْلُهُ تَعَالَى: {ثُمَّ استوي إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ} أَيْ عَمَدَ إِلَى خَلْقِهَا وَقَصَدَ لِتَسْوِيَتِهَا. وَالِاسْتِوَاءُ مِنْ صِفَةِ الْأَفْعَالِ عَلَى أَكْثَرِ الْأَقْوَالِ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ} [البقرة: ٢٩]، وَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ هُنَاكَ. وَرَوَى أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: {ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ} يَعْنِي صَعِدَ أَمْرُهُ إِلَى السَّمَاءِ، وقال الْحَسَنُ."

هذا تأويل عند أهل السنة، استوى علا وارتفع وصعد، أما أمره فلا، نعم أمره يصعد، وأمره ينزل، نعم.

وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ زَائِدَةٌ قَالَ: اسْتَوَى فِي الْأَزَلِ بِصِفَاتِهِ وَ" ثُمَّ" تَرْجِعُ إِلَى نَقْلِ السَّمَاءِ مِنْ صِفَةِ الدُّخَانِ إِلَى حَالَةِ الْكَثَافَةِ"

استوى بصفاته استوى على عرشه، كما جاءت بذلك السبع آيات المعروفة استوى على عرشه استواء يليق بذاته وعظمته ومعنى الاستواء معلوم، لكن الكيفية مجهولة.

" وَكَانَ ذَلِكَ الدُّخَانُ مِنْ تَنَفُّسِ الْمَاءِ حِينَ تَنَفَّسَ، عَلَى مَا مَضَى فِي [الْبَقَرَةِ] عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِ." {فَقالَ لَها وَلِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً} أَيْ جِيئَا بِمَا خَلَقْتُ فِيكُمَا مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَصَالِحِ وَأَخْرِجَاهَا لِخَلْقِي. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ اللَّهُ تعالى للسماء: أطلعي شمسك وَقَمَرَكِ وَكَوَاكِبَكِ، وَأَجْرِي رِيَاحَكِ وَسَحَابَكِ، وَقَالَ لِلْأَرْضِ: شُقِّي أَنْهَارَكِ وَأَخْرِجِي شَجَرَكِ وَثِمَارَكِ طَائِعَتَيْنِ أَوْ كَارِهَتَيْنِ" قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ" فِي الْكَلَامِ حَذْفٌ أَيْ أَتَيْنَا أَمْرَكَ" طَائِعِينَ". وَقِيلَ: مَعْنَى هَذَا الْأَمْرِ التَّسْخِيرُ، أَيْ كُونَا فَكَانَتَا كَمَا قَالَ تعالى: {إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[النحل: ٤٠]".

يعني قول السماء والأرض قالتا أتينا طائعين هل هو بلسان المقال القدرة الإلهية صالحة لذلك أو بلسان الحال؛ لأنها ليست مما يعقل فيجيب السؤال هذا الأصل، لكن القدرة الإلهية صالحة لأن

تنطق السموات والأرض كما ينطق غيرها من الجمادات، وقد ثبت أن الجماد تنطق أنها تسبح لله- جل وعلا- وإن من شيء إلا يسبح بحمده، وحن الجذع وسبح الحصى بيده-عليه الصلاة والسلام-.

المقصود أن مثل هذه الأمور بالنسبة للقدرة الإلهية أمر يسير.

"كَمَا قَالَ تعالى: {إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[النحل: ٤٠]، فَعَلَى هَذَا قَالَ ذَلِكَ قَبْلَ خَلْقِهِمَا وَعَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ خَلْقِهِمَا، وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ. وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى لَهُمَا وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُ قَوْلٌ تَكَلَّمَ بِهِ. الثَّانِي أَنَّهَا قُدْرَةٌ مِنْهُ ظَهَرَتْ لَهُمَا فَقَامَ مَقَامَ الْكَلَامِ فِي بُلُوغِ الْمُرَادِ، ذَكَرَهُ الْمَاوَرْدِيُّ".

لكن الأول هو الصحيح قول تكلم به؛ لأن الله -جل وعلا- موصوف بالكلام، وأنه تكلم ويتكلم كلامه وإن كان قديم النوع إلا أنه متجدد الآحاد يتكلم متى شاء وكيف شاء -جل وعلا-.

"{قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ} فِيهِ أَيْضًا وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُ ظُهُورُ الطَّاعَةِ مِنْهُمَا حَيْثُ انْقَادَا وَأَجَابَا فَقَامَ مَقَامَ قَوْلِهِمَا، وَمِنْهُ قَوْلُ الرَّاجِزِ:

امْتَلَأَ الْحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي ... - مَهْلًا رُوَيْدًا قَدْ مَلَأْتُ بَطْنِي"

نعم هذا واضح أن الحوض ما تكلم بكلام مسموع بحرف وصوت، لا، إنما لما امتلئ عرف أو كأنه نطق، هذا لسان حاله أنه قال: لا أستوعب أكثر من هذا، لا أستوعب أكثر من هذا، قطني يكفي.

طالب:.....

أين؟

طالب:.....

لأنه عند من يقول بالمجاز ما فيه إشكال؛ لأن القول استعمل في غير ما وضع له، استعمل لا بلسان المقال، وإنما بلسان الحال، وهنا استعمالات من هذا النوع، لكنه حقيقة، وليس بمجاز؛ لأن الشيء الذي يستحيل في عرف الناس وفي استعمالاتهم هم، لا بالنسبة للقدرة الإلهية، يعني

حينما يقول القائل: إن الأرض تقول: اقرءوا وإلا قرأت، ما معنى هذا؟ يعني أتلفوا الكتاب بكثرة الاستعمال وإلا أتلفته أنا، اقرءوا وإلا قرأت، هذا لسان حال أم مقال؟ لسان حال، على كل حال أمر ميسور".

"يَعْنِي ظَهَرَ ذَلِكَ فِيه. وَقَالَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ: بَلْ خَلَقَ اللَّهُ فِيهِمَا الْكَلَامَ فَتَكَلَّمَتَا كَمَا أَرَادَ تَعَالَى: قَالَ أَبُو نَصْرٍ السَّكْسَكِيُّ".

في النار –نسأل الله العافية– يكون درس الكافر مثل جبل أحد، درس الكافر مثل جبل أحد، فيه امتناع شرعي أم عقلي أم شيء؟ شيء لا ندركه بعقولنا هذا أمر لا تصل إليه عقولنا، والقدرة الإلهية صالحة لما هو أعلى من ذلك، وهذا صح به الخبر، لكن ما لم يصح به الخبر هو محل النظر الذي يمكن أن ينفى من جهة العقل إذا لم يصح به الخبر، يعني كما ذكر في بعض الآثار أن عجيزة الحورية ميل، هذا ليس بصحيح، لو صح به الخبر قلنا: سمعنا وأطعنا، لكن ما دام لم يصح فالعقل له مجال، وما صح الخبر به لا مجال للعقل والنظر فيه فالعقل تابع، وليس بمتبوع، كما هو عند بعض طوائف البدع العقل تابع، والماوردي قال كلامًا رُميَ بسببه بالاعتزال، قال: المتبوع إما شرع مسموع أو عقل مطبوع، قال بعضهم: إنه يميل إلى قول المعتزلة في مثل هذا العقل لا قيمة له مع نصوص الشرع.

طالب: شيخ.... أبي صالح عن ابن عباس قال: ثم استوي إلى السماء يعني صعد أمره إلى السماء.

غلط، أمره تأويل.

طالب: طيب هذا نقل عن ابن عباس.

ما يثبت، قد لا يثبت، قد لا يثبت.

طالب:.....في الأسماء والصفات من طريق محمد بن مراون ..رواه السدي الصغير...عن أبي صالح.

لا، تالف، تالف إسناده أقول: إسناده تالف لا يثبت عن ابن عباس.

" فَنَطَقَ مِنَ الْأَرْضِ مَوْضِعُ الْكَعْبَةِ، وَنَطَقَ مِنَ السَّمَاءِ مَا بِحِيَالِهَا، فَوَضَعَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ حَرَمَهُ. وَقَالَ:" طَائِعِينَ"، وَلَمْ يَقُلْ: طَائِعَتَيْنِ عَلَى اللَّفْظِ، وَلَا طَائِعَاتٍ عَلَى الْمَعْنَى؛ لِأَنَّهُمَا سَمَاوَاتٌ وَأَرَضُونَ؛ لِأَنَّهُ أَخْبَرَ عَنْهُمَا وَعَمَّنْ فِيهِمَا، وَقِيلَ: لَمَّا وَصَفَهُنَّ بِالْقَوْلِ وَالْإِجَابَةِ، وَذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ مَنْ يَعْقِلُ أَجْرَاهُمَا فِي الْكِنَايَةِ مَجْرَى مَنْ يَعْقِلُ".

الأصل في جمع المذكر السالم لا يكون إلا لعاقل من شرط جمع الاسم جمعًا مذكرًا سالمًا أن يكون مما يعقل، السماوات والأرض ليست ممن يعقل، لكن لما اتصفتا بصفة من يعقل وهو القول عُوملتا معاملة من يعقل.

"ومثله {رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} [يوسف: ٤] وَقَدْ تَقَدَّمَ وَفِي حَدِيثٍ: إِنَّ مُوسَى -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قَالَ: يَا رَبِّ لَوْ أَنَّ السماوات وَالْأَرْضَ حِينَ قُلْتَ لَهُمَا: " ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً" عَصَيَاكَ مَا كُنْتَ صَانِعًا بِهِمَا؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُ دَابَّةً مِنْ دَوَابِّي فَتَبْتَلِعُهُمَا، قَالَ: يَا رَبِّ، وَأَيْنَ تِلْكَ الدَّابَّةُ؟ قَالَ: فِي مَرْجٍ مِنْ مُرُوجِي. قَالَ: يَا رَبِّ، وَأَيْنَ ذَلِكَ الْمَرْجُ؟ قَالَ عِلْمٌ مِنْ عِلْمِي. ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ. وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَعِكْرِمَةُ" آتَيَا" بِالْمَدِّ وَالْفَتْحِ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: {آتَيْنَا طَائِعِينَ} عَلَى مَعْنَى أَعْطِيَا الطَّاعَةَ مِنْ أَنْفُسِكُمَا" قالَتا" أَعْطَيْنَا" طَائِعِينَ" فَحَذَفَ الْمَفْعُولَيْنِ جَمِيعًا."

يعني فرق بين الفعل أتى والفعل آتى، أتى بمعنى جاء، وآتى بمعني أعطى.

" وَيَجُوزُ وَهُوَ أَحْسَنُ أَنْ يَكُونَ" آتَيْنَا" فَاعَلْنَا، فَحُذِفَ مَفْعُولٌ وَاحِدٌ. وَمَنْ قَرَأَ" آتَيْنَا" فَالْمَعْنَى جِئْنَا بِمَا فِينَا، عَلَى مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ في غير ما موضع والحمد لله."

طالب: أتينا أم....

أتينا جئنا، لكن ممدوة عندنا صوابها أتينا، ومن قرأ: أتينا فالمعنى جئنا مثل ما قلنا في الفرق بين أتى وآتى.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ} أَيْ أَكْمَلَهُنَّ وَفَرَغَ مِنْهُنَّ وَقِيلَ: أَحْكَمَهُنَّ كَمَا قال:

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا... دَاوُدُ أَوْ صَنَعَ السَّوَابِغَ تُبَّعُ"

صنع يعني صانع.

"فِي يَوْمَيْنِ" سِوَى الْأَرْبَعَةِ الْأَيَّامِ الَّتِي خلق فيها الأرض، فوقع خلق السموات وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ}[الأعراف: ٥٤] عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي [الْأَعْرَافِ] بَيَانُهُ قَالَ مُجَاهِدٌ: وَيَوْمٌ مِنَ السِّتَّةِ الْأَيَّامِ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ: خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ".

يعني على هذه الأيام الستة من أيام الدنيا أو من أيام الآخرة.

طالب:.....

هو ما جاء بيانه، لكن الأولى إذا أردنا أن نفسر.

طالب: في الدنيا أبلغ..

وكونه من أيام الدنيا لا شك أنه أبلغ في القدرة، أبلغ في القدرة، ومن قال من أهل العلم: إن الله – جل وعلا– لم يخلقها بكن، وإنما خلقها في ستة أيام؛ ليعود العباد الصبر على الأعمال والتحمل، كونها من أيام الدنيا..

طالب:.....

طالب:.....

هذا رابع واحد هذا الرابع.

طالب: والمسألة....

لا شك أن كونها من أيام الدنيا أبلغ في القدرة الإلهية، لكن كونه لم يخلقها بكن، ويعلل أهل العلم أن الحكمة من ذلك تعويد العباد الصبر على الأعمال والمثابرة على إنجازها وإتقانها، كونها من أيام الآخرة اليوم بألف سنة هذا أظهر.

طالب:.....هذا الموضع يدخل في القدرة...أبلغ.

نعم ما هو الأولى منهما؟

طالب:.....

هذا ما هو من الأيام هذه، من أيام الآخرة، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، هي أيام ومواقف تختلف كما قال ابن عباس، ليست يومًا واحدة وليست على صفة واحدة وهيئة واحدة.

طالب:.....من أيام الدنيا أنها اللفظ...وأيضًا تعويد الإنسان على الصبر.

لا، كون الأيام أطول دلالتها على الصبر أقوى؛ لأنه قد يقول قائل: أنا أصنع هذه الآلة التي لا تصنع في يوم ولا يومين ولا خمسة ولا عشرة أصنعها في يومين مثلاً، نقول: هذا صبر لمن قال: أصنعها في يوم، لكن كونها ستة آلاف يوم لا شك أنها غاية في الصبر، غاية، يعني الإنسان إذا أراد أن يعمل عملًا فلإتقانه عليه أن يتريث، ولا يعني هذا أنه يتراخى، ثم إذا جاء في آخر الوقت قال: هذا دليل على الصبر والمثابرة، وأن العجلة لا تأتي بخير كما يقول بعض الناس، بعض الصناع يفعل هذا، يركن الآلة التي أراد إصلاحها بالأجرة إلى آخر لحظة، وبعضهم يتحايل على تكثير الأجرة بهذا.

يعني تأتي بالسيارة إلى ورشة مهندس تقول فيها ما يظهر لك منها، يقول لابد أن نفحصها، تأتينا بعد أسبوع وهو يعرف أنه مجرد سلك يربط وتأخذ سيارتك معك، لكن لا يقول لك: سلك، ويقول لك: أعطيني عشرة، تقول له: من أجل إيش؟ لكن إذا جلس أسبوعًا وقال: أعطيني خمسمائة وأنت مرتاح تدفع له، وهذه ذريعة يتذرع بها كثير من الناس إما أن يستعجل عجلة تخل بالعمل ليقال: ما شاء الله هذا الرجل الحازم الذي فيه ما فيها أو يتركها ويركنها ويتساهل في أمرها ليقال: هذا الصبور المتأني، الأمور تقدر بقدرها لا زيادة ولا نقصان.

طالب: من يقول .....يوم الأحد إلى يوم الجمعة.

لهذه الأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت، وما مسنا من لغوب، خلاف لما تقوله اليهود من أنه استراح يوم السبت، قاتلهم الله.

طالب:.....يوم من أيام الدنيا.....

كونها تسمى لا يعني أنها في المقدار بقدرها، وإن كان تمام المطابقة هذا.

"وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ: خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِوَقَدَّرَ فيها أقواتها في يومين، وخلق السموات فِي يَوْمَيْنِ، خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ والاثنين، وقدر فيها أقواتها في يومين، وخلق السموات فِي يَوْمَيْنِ، خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ وَالِاثْنَيْنِ، وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ وَيَوْمَ الأربعاء، وخلق السموات فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ وَيَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَآخِرُ سَاعَةٍ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ فِي عَجَلٍ، وَهِيَ الَّتِي تَقُومُ فِيهَا السَّاعَةُ، وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ تَفْزَعُ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ إِلَّا الْإِنْسَ وَالْجِنَّ."

قد يقول قائل: إن العجلة مذمومة، فكيف خلق الله آدم في آخر ساعة من يوم الجمعة في عجل؟ لا شك أن الإنسان خلق من عجل، نعم خلق ليس خلقه كخلق السماوات والأرض، يحتاج إلى وقت، ومع ذلك الوقت الطويل والقصير بالنسبة إليه -جل وعلا- سواء، لا أثر به؛ لأن قدرته على أن يخلق جميع هذه الأشياء بكلمة من حرفين، كن، فكونه خلق السماوات والأرض في ستة أيام لا لأن في ذلك مشقة عليه -جل وعلا-، وكونه -جل وعلا- عجل بخلق آدم لا يعني أنه للاستخفاف به أو أنه لم يتقن في أحسن تقويم، وهذا يدل على أن الأوقات بالنسبة له طويلها وقصيرها سواء، وأنها لا قيمة لها؛ لأنه يمكن أن يخلق الشيء الذي في هذه المدد بكلمة: كن، نعم.

"عَلَى هَذَا أَهْلُ التَّفْسِيرِ، إِلَّا مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَخَذَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-بِيَدَيَّ، فَقَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ» الْحَدِيثُ، وَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَى إِسْنَادِهِ فِي أَوَّلِ سُورَةِ (الْأَنْعَامِ).

{وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَه}".

حديث التربة الذي تكلم فيه أهل العلم وجزم جمهورهم بأنه خطأ.

"{وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَه}" قَالَ قَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ: خَلَقَ فِيهَا شَمْسَهَا وَقَمَرَهَا وَنُجُومَهَا وَأَفْلَاكَهَا، وَخَلَقَ فِي كُلِّ سَمَاءٍ خَلْقَهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْخَلْقِ الَّذِي فِيهَا مِنَ الْبِحَارِ وَجِبَالِ الْبَرَدِ وَالثُّلُوجِ. وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: وَلِلَّهِ فِي كُلِّ سَمَاءٍ بَيْتٌ تَحُجُّ إِلَيْهِ وَتَطُوفُ بِهِ الْمَلَائِكَةُ بِحِذَاءِ الْكَعْبَةِ، وَالَّذِي فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا هُوَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ. وَقِيلَ: أَوْحَى اللَّهُ فِي كُلِّ سَمَاءٍ".

الذي يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك كل يوم لا يرجعون إليه آخر ما عليهم، يعني كل يوم يدخل فيه سبعون ألف ملك ولا يعودون إليه ثانية.

"أَيْ أَوْحَى فِيهَا مَا أَرَادَهُ وَمَا أَمَرَ بِهِ فِيهَا. وَالْإِيحَاءُ قَدْ يَكُونُ أَمْرًا؛ لِقَوْلِهِ: {بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحى لَها}[الزلزلة: ٥]، وقوله: {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوارِيِّينَ} [المائدة: ١١١] أي أمرتهم وهو أمر تكوين." {وَزَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ} أَيْ بِكَوَاكِبَ تُضِيءُ".

يعني لا وحي نبوة أو رسالة.

"{وَزَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ} أَيْ بِكَوَاكِبَ تُضِيءُ" وَقِيلَ: إِنَّ فِي كُلِّ سَمَاءٍ كَوَاكِبَ تُضِيءُ. وَقِيلَ: بَلِ الْكَوَاكِبُ مُخْتَصَّةٌ بِالسَّمَاءِ الدُّنْيَا." وَحِفْظاً" أَيْ وَحَفِظْنَاهَا حِفْظًا، أَيْ مِنَ الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ يسترقون السمع. وهذا الحفظ بِالْكَوَاكِبِ الَّتِي تُرْجَمُ بِهَا الشَّيَاطِينُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي [الْحِجْرِ] بَيَانُهُ. وَظَاهِرُ هَذِهِ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَرْضَ خُلِقَتْ قَبْلَ السَّمَاءِ. وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى:" {أَمِ السَّماءُ بَناها} [النازعات: ٢٧] ثم قال: {وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها} [النازعات: ٣٠]، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى خَلْقِ السَّمَاءِ أَوَّلًا. وَقَالَ قَوْمٌ: خُلِقَتِ الْأَرْضُ قَبْلَ السَّمَاءِ، فَأَمَّا قَوْلُهُ: {وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها} [النازعات: ٣٠]، فَالدَّحْوُ غَيْرُ الْخَلْقِ، فَاللَّهُ خَلَقَ الْأَرْضَ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ، ثُمَّ دَحَا الْأَرْضَ أَيْ مَدَّهَا وبسطها، قال ابْنُ عَبَّاسٍ. وَقَدْ مَضَى هَذَا الْمَعْنَى مُجَوَّدًا فِي" الْبَقَرَةِ"، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

{ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}".

تفسير القرطبي

سورة فصلت

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:		**المكان:**	

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

طالب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

طالب: مسألة: زوج وزوجته ذهبوا إلى العمرة، ذهبوا إلى مكة، الزوج أخبرها أن مسعاها ما يصح السعي وهي أخذت برأي بعض المشايخ.

قلدت.

طالب: فسعت وطافت.

قلدت ...

طالب: الشاهد هو الآن رجع إلى دياره.... فيسأل وهو يقول الآن.

ما عليه شيء.

طالب: من ناحية.

مادام قلدت ما عليه شيء.

طالب: يا شيخ يقصد في إجماعها هو يري.

ما عليه الكلام إلى حين الحكم متعلق بها لا به، ما عليه شيء، ولا عليها شيء مادام قلدت من تبرأ الذمة بتقليده خلاص انتهى الإشكال، والحكم يخصها ما يخصه تحلل.

نعم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى:-

قوله تعالى: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَثَمُودَ (١٣) إِذْ جاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ قالُوا لَوْ شاءَ رَبُّنا لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً فَإِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ (١٤) فَأَمَّا عادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ (١٥) فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِساتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَلَعَذابُ الْآخِرَةِ أَخْزى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ(١٦).

قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَإِنْ أَعْرَضُوا} يَعْنِي كُفَّارَ قُرَيْشٍ عَمَّا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ يَا مُحَمَّدُ مِنَ الْإِيمَانِ، { فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَثَمُودَ} أَيْ خَوَّفْتُكُمْ هَلَاكًا مِثْلَ هَلَاكِ عَادٍ وَثَمُودَ، { إِذْ جاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ" يَعْنِي مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَإِلَى مَنْ قَبْلَهُمْ} **أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ" مَوْضِعُ" أَنْ" نُصِبَ بإسقاط الخافض".**

يعني من أرسل إليهم وإلى من قبلهم الذي بين أيديهم هو الذي أرسل إليهم ومن خلفهم خلفوه وراء ظهورهم، يعني الذين من قبلهم.

مَوْضِعُ" أَنْ" نُصِبَ بإسقاط الخافض أي ب" أَلَّا تَعْبُدُوا"، و{ قالُوا لَوْ شاءَ رَبُّنا لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً" } الرُّسُلِ" فَإِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ" مِنَ الْإِنْذَارِ وَالتَّبْشِيرِ. قِيلَ: هَذَا اسْتِهْزَاءٌ مِنْهُمْ. وَقِيلَ: اقرار إرسالهم ثم بعده جحود وعناد".

يعني الإقرار، الإقرار باللسان هذا على سبيل الاستخفاف والاستهزاء، لا على سبيل الاعتراف، ولئلا يمنع هذا من أن تكون القلوب مطمئنة إلى هذا الأمر ومصدقة، لكنها تجحد، يعني فرق بين أن تعترف وتجحد، تقر وتجحد، وبين أن تنكر وتجحد من الأصل وإن كان القلب مقرًّا جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم.

طالب:.....

لماذا؟

طالب: هذا ما كنا.....

أولاً: هذه السورة نزلت قبل تلك، وإن كانت المسألة ليست مما يدخلها النسخ، ليست من المسائل التي يدخلها النسخ، لكن التخويف لا يعني الوقوع، التخويف حصل التخويف بأمور، والنبي- عليه الصلاة والسلام- فيهم، لكن ما كان الله -جل وعلا- يعذبهم وأنت فيهم، يعذب المؤمنين منهم والنبي-عليه الصلاة والسلام- فيهم، ولو وقع منهم ما وقع، أما الكفار فيعذبون، وعذبوا وتوعدوا.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَمَّا عادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ} عَلَى عِبَادِ اللَّهِ هُودٍ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ" بِغَيْرِالْحَقِّ وَقالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً" اغْتَرُّوا بِأَجْسَامِهِمْ حِينَ تَهَدَّدَهُمْ بِالْعَذَابِ، وَقَالُوا: نَحْنُ وَخَلْقٍ عَظِيمٍ. وَقَدْ مَضَى فِي [الْأَعْرَافِ] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ أَطْوَلَهُمْ كَانَ مِائَةَ ذِرَاعٍ، وَأَقْصَرَهُمْ كَانَ سِتِّينَ ذِرَاعًا. فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى رَدًّا عَلَيْهِمْ".

هذا منقول عن ابن عباس، يخالفه ويعارضه أن الله -جل وعلا- خلق الخلق على طول أبيهم ستين ذراعًا، مازال الخلق ينقص، وعاد ثمود بعد آدم بقرون، بعده بقرون متطاولة، فهم أقصر من هذا بكثير، الغاية خلق آدم في ستين ذراعًا، ثم صار الخلق ينقص إلى أن صار الحد إلى ثلاثة أذرع، أربعة أذرع بالكثير في آخر الزمان، لكن بينهما النزول ظاهر، وكانوا يستدلون على ما يجدونه من قبور وما أشبه ذلك الطول والقصر، فإذا وجدوا قبرًا طويلًا يعني احتمل أنه من المتقدمين، غلب على ظنهم أنه من قوم نوح مثلاً، أو من قوم هود، أو من قوم صالح، ثم إذا وجدوا قبرًا قصيرًا قالوا: هذا من قوم موسى أو عيسى أو ما أشبه ذلك، ولما فتح الصحابة بعض الجهات جهات المشرق وجدوا تابوتًا فيه جثة، جثة ميت احتفظ بها، أولئك بعد الروم والفرس، نسيت الآن، يخرجونها إذا أرادو أن يستسقوا، وبقاؤها دليل، جثة من لا تأكله الأرض كنبي ونحوه، قالوا: إن أنفه شبر، يعني ما طوله؟ ما استطاعوا أن يحددوا طوله، ولكن قالوا: إن الأنف شبر، ولا يكون الأنف شبرًا إلا إذا كان الطول خمسين ستين ذراعًا، هو من المتقدمين، وليس من المتأخرين.

أما ما ذكر عن ابن عباس أن أطوالهم كان مائة ذراع، فهذا لا يمكن أن يكون؛ لأن الناس في نقص من بعد، وهو من بعد آدم بقرون، وأهل الجنة يكون طولهم طول أبيهم، الطول طول أبيهم ستون ذراعًا في عرض سبعة أذرع، الطول صح في الصحيحين، والعرض في المسند، وعلى كل حال المقصود أن ما يذكر عن ابن عباس معارض لهذا الحديث الصحيح.

"{ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً} وَقُدْرَةً، وَإِنَّمَا يَقْدِرُ الْعَبْدُ بِإِقْدَارِ اللَّهِ، فَاللَّهُ أَقْدَرُ إِذًا.

{ وَكانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ} أَيْ بِمُعْجِزَاتِنَا يَكْفُرُونَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: { فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً} هَذَا تَفْسِيرُ الصَّاعِقَةِ الَّتِي أَرْسَلَهَا عَلَيْهِمْ، أَيْ رِيحًا بَارِدَةً شَدِيدَةَ الْبَرْدِ وَشَدِيدَةَ الصَّوْتِ وَالْهُبُوبِ. وَيُقَالُ: أَصْلُهَا صَرَرٌ مِنَ الصِّرِّ، وَهُوَ الْبَرْدُ، فَأَبْدَلُوا مَكَانَ الرَّاءِ الْوُسْطَى فَاءَ الْفِعْلِ، كَقَوْلِهِمْ: كَبْكَبُوا أَصْلُهُ كَبَّبُوا، وَتَجَفْجَفَ الثَّوْبُ أَصْلُهُ تَجَفَّفَ. أَبُو عُبَيْدَةَ: مَعْنَى صَرْصَرٍ: شَدِيدَةٌ عَاصِفَةٌ. عِكْرِمَةُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: شَدِيدُ الْبَرْدِ. وَأَنْشَدَ قُطْرُبٌ قَوْلَ الْحُطَيْئَةِ:

الْمُطْعِمُونَ إِذَا هَبَّتْ بِصَرْصَرَةٍ ... وَالْحَامِلُونَ إِذَا اسْتُودُوا عَلَى النَّاسِ

اسْتُودُوا: إِذَا سُئِلُوا الدِّيَةَ. مُجَاهِدٌ: الشَّدِيدَةُ السَّمُومِ. وَرَوَى مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ".

الصرصرة والصر هو في الأصل البرد الشديد، البرد الشديد، ويقارنه الريح الباردة التي ينشأ عنها الأصوات، أصوات ما تمر به، أما صوتها أو صوت ما تمر به مما يتحرك.

وَرَوَى مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: بَارِدَةٌ. وَقَالَهُ عَطَاءٌ؛ لِأَنَّ" صَرْصَرًا" مَأْخُوذٌ مِنْ صِرٍّ وَالصِّرُّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْبَرَدُ.

كَمَا قال:

لها عذر كقرون النسا ... ء رُكِّبْنَ فِي يَوْمِ رِيحٍ وَصِرْ

وَقَالَ السُّدِّيُّ: الشَّدِيدَةُ الصَّوْتِ، وَمِنْهُ صَرَّ الْقَلَمُ وَالْبَابُ يَصِرُّ صَرِيرًا أَيْ صَوَّتَ. وَيُقَالُ: دِرْهَمٌ صَرِّيٌّ وَصِرِّيٌّ لِلَّذِي لَهُ صَوْتٌ إِذَا نُقِدَ".

يعني إذا ضرب بشيء لتعلم جودته أو ألقي على الأرض له صوت دليل على جودته.

"قَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ: صَرْصَرٌ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الصِّرِّ، وَهُوَ الْبَرْدُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ صَرِيرِ الْبَابِ، وَمِنَ الصَّرَّةِ وَهِيَ الصَّيْحَةُ، وَمِنْهُ { فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِيصَرَّةٍ} [الذاريات: ٢٩]، وَصَرْصَرٌ اسْمُ نَهَرٍ بِالْعِرَاقِ.

{ فِي أَيَّامٍ نَحِساتٍ} أي مشئومات، قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةَ. كُنَّ آخِرَ شَوَّالٍ مِنْ يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ إِلَى يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ، وَذَلِكَ { سَبْعَ لَيالٍ وَثَمانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً} [الحاقة: ٧]".

نعم، وصف الله -جل وعلا- بالنحس وقال: في يوم نحس.

المقصود أنها وصف اليوم بالسعد أو النحس بناءً على ما يقع فيه من خير أو شر، فليدخل في ذمه وسبه؛ ليكون فرعًا عن سب الدهر، أو أنه إذا وقع ذلك تبين أن هذا اليوم لم يقع فيه إلا هذا الشر، أو لم يقع فيه إلا هذا الخير، مع أن تقدير الإنسان أن هذا تقدير الله الذي يعلم خفايا الأمور، أما تقدير الإنسان فقد يظن أن هذا اليوم نحس، وهو في الحقيقة سعد، لماذا؟

لأن الله رتب على هذه الأمور التي هي في ظاهرها شر خيرًا عظيمًا أو العكس، فالإنسان لا يستطيع أن يقدر، فإذا ذم الدهر مع جهله بعواقب الأمور وقع فيما جاء في سب الدهر، وأما الله- جل وعلا- الذي يعلم خفايا الأمور، وأنه لا مصلحة لهم ألبتة مما وقع في هذا اليوم أمثال هؤلاء الأقوام يمكن أن يسمى نحسًا، علمًا بأن الأيام في الأصل والليالي هي ظروف، ظروف لا ينسب إليها شيء، إنما ينسب لمن فعل بها وعمل فيها هو الذي ينسب إليه الشيء، فهم الأقوام النحس، ومع ذلك إذا وقع الفعل في ظرف أمكن النسبة إليه تجوزًا، وإن كان النحس والسعد إنما يتعلق بمن يفعل الخير أو يفعل الشر.

يوم الأربعاء يتشائم الناس فيه كثيرًا؛ لأن عذابهم بدأ في يوم الأربعاء، وينتهي في يوم الأربعاء، في يومين يوم الأربعاء والأربعاء، الأول والثاني كلاهما فيه عذاب، ثمانية أيام، وبينهم سبع ليالٍ، ومع ذلك جاء في المسند وغيره من كتب السنة والأدب المفرد بعض السنن من حديث جابر أن النبي- عليه الصلاة والسلام- دعا يوم الإثنين والثلاثاء فلم يُجب، وأجيب يوم الأربعاء بين الصلاتين، فدل على أنه بذاته الأربعاء، لا يمكن أن ينسب إليه شيء، تجاب فيه الدعوات، فليس بيوم نحس هو بذاته، لكن تلك الأيام التي وقعت فيها تلك العقوبة يمكن أن يقال: إنها نحس؛ لأنها لا مصلحة فيه ألبتة لهم وإنما هو عذاب محض، ومن ورائه عذاب أعظم منه، نسأل الله العافية.

طالب:.....

على كل حال هذه الظروف الله -جل وعلا-هو المقدر، وهو الذي يسبب الأسباب.

طالب: سلام عليكم....

ماذا؟

طالب: فترة زمنية انتشر فيها بعض الفساد والشرك والزنا .....تلك الفترة نقصت.

لا يمكن؛ لأنك لا تدري عن عواقب الأمور، لا تعرف العواقب ماذا يترتب على هذا المذكور؟

طالب: السيئات أكثر.

على كل حال وفيه حسنات يعني ما تدري أنت يمكن في جهة من الجهات الخير فيها أظهر.

طالب:.....

على الإطلاق، الإطلاق ما فيه؛ لأنه هو الذي يعرف العواقب، الإنسان قد يقدر هذا لشيء نحس، وهو في الحقيقة سعد.

طالب:.....

حتى يومه ما يدري ما الخيرة، ما يدري لعله تترتب على هذا الشر الذي حصل له في هذا اليوم خير عظيم.

" قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا عُذِّبَ قَوْمٌ إِلَّا فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ. وَقِيلَ:" نَحِساتٍ" بَارِدَاتٍ، حَكَاهُ النَّقَّاشُ. وَقِيلَ: مُتَتَابِعَاتٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَطِيَّةَ الضَّحَّاكُ: شِدَاد، وَقِيلَ: ذَاتُ غُبَارٍ، حَكَاهُ ابْنُ عِيسَى. وَمِنْهُ قَوْلُ الرَّاجِزِ:

قَدِ اغْتَدَى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ... لِلصَّيْدِ فِي يَوْمٍ قَلِيلِ النَّحْسِ

قَالَ الضَّحَّاكُ وَغَيْرُهُ: أَمْسَكَ اللَّهُ عَنْهُمُ الْمَطَرَ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَدَرَّتِ الرِّيَاحُ عَلَيْهِمْ فِي غَيْرِ مَطَرٍ، وَخَرَجَ مِنْهُمْ قَوْمٌ إِلَى مَكَّةَ يَسْتَسْقُونَ بِهَا لِلْعِبَادِ، وَكَانَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ بَلَاءٌ أَوْ جَهْدٌ طَلَبُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْفَرَجَ مِنْهُ، وَكَانَتْ طُلْبَتُهُمْ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ بَيْتِهِ الْحَرَامِ مَكَّةَ مُسْلِمِهِمْ وَكَافِرِهِمْ، فَيَجْتَمِعُ بِمَكَّةَ نَاسٌ كَثِيرٌ شَتَّى، مُخْتَلِفَةٌ أَدْيَانُهُمْ، وَكُلُّهُمْ مُعظِّمٌ لِمَكَّةَ، عَارِفٌ حُرْمَتَهَا وَمَكَانَهَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

وَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَالتَّيْمِيّ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ خَيْرًا أَرْسَلَ عَلَيْهِمُ الْمَطَرَ وَحَبَسَ عَنْهُمْ كَثْرَةَ الرِّيَاحِ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ شَرًّا حَبَسَ عَنْهُمُ الْمَطَرَ وَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ كَثْرَةَ الرِّيَاحِ.

وَقَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو: " نَحْسَاتٍ" بِإِسْكَانِ الْحَاءِ عَلَى أَنَّهُ جَمْعُ نَحْسٍ الَّذِي هُوَ مَصْدَرٌ وُصِفَ بِهِ، والْبَاقُونَ:" نَحِساتٍ" بِكَسْرِ الْحَاءِ أَيْ ذَوَاتُ نَحْسٍ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّحْسَ مَصْدَرٌ قَوْلُهُ: { فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ} [القمر: ١٩]، وَلَوْ كَانَ صِفَةً لَمْ يُضَفِ الْيَوْمَ إِلَيْهِ، وَبِهَذَا كَانَ يَحْتَجُّ أَبُو عَمْرٍو عَلَى قِرَاءَتِهِ، وَاخْتَارَهُ أَبُو حَاتِمٍ."

الكلام فيه ما فيه؛ لأن من وجوه الإضافة إضافة الموصوف إلى صفته، فكونه يستدل به على أنها مصدر؛ لأن الموصوف أضيف إليها فهذا الكلام ليس بصحيح.

"وَاخْتَارَهُ أَبُو حَاتِمٍ وَاخْتَارَ أَبُو عُبَيْدٍ الْقِرَاءَةَ الثَّانِيَةَ وَقَالَ: لَا تَصِحُّ حُجَّةُ أَبِي عَمْرٍو؛ لِأَنَّهُ أَضَافَ الْيَوْمَ إِلَى النَّحْسِ فَأَسْكَنَ، وَإِنَّمَا كَانَ يَكُونُ حُجَّةً لَوْ نَوَّنَ الْيَوْمَ وَنَعَتَ وأسكن، فقال: {فِي يَوْمٍ نَحْسٍ} [القمر: ١٩]، وَهَذَا لَمْ يَقْرَأْ بِهِ أَحَدٌ نَعْلَمُهُ. وَقَالَ الْمَهْدَوِيُّ: وَلَمْ يُسْمَعْ فِي" نَحْسٍ" إِلَّا الْإِسْكَانُ، قال الجوهري: وقرئ في قوله: { فِي يَوْمِ نَحْسٍ} [القمر: ١٩] عَلَى الصِّفَةِ، وَالْإِضَافَةُ أَكْثَرُ وَأَجْوَدُ، وَقَدْ نَحِسَ الشَّيْءُ بِالْكَسْرِ فَهُوَ نَحِسٌ أَيْضًا، قَالَ الشَّاعِرُ:

أَبْلِغْ جُذَامًا وَلَخْمًا أَنَّ إِخْوَتَهُمْ... طَيًّا وَبَهْرَاءَ قَوْمٌ نَصْرُهُمْ نَحِسُ"

عمومًا من حيث الاشتقاق والتصريف يجوز أن يقال: نحْس بالتسكين من باب التخفيف، كما أنه يجوز تحريكه فيقال: نحَس ونحِس، كما قيل في نجْس ونَجِس ونَجَس.

"وَمِنْهُ قِيلَ: أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ. {" لِنُذِيقَهُمْ}" أَيْ لِكَيْ نُذِيقَهُمْ، "{عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الحياة الدنيا"} أي العذاب بِالرِّيحِ الْعَقِيمِ. {وَلَعَذابُ الْآخِرَةِ أَخْزى} " أَيْ أَعْظَمَ وأشد {وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ}".

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ} أَيْ بَيَّنَّا لَهُمُ الْهُدَى وَالضَّلَالَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ وَقَرَأَ الْحَسَنُ وَابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُمَا " وَأَمَّا ثَمُودَ" بِالنَّصْبِ، وَقَدْ مَضَى الْكَلَامُ فِيهِ فِي الْأَعْرَافِ." {فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى } أَيِ اخْتَارُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ. وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: اخْتَارُوا الْعَمَى عَلَى الْبَيَانِ، وقال السُّدِّيُّ: اخْتَارُوا الْمَعْصِيَةَ عَلَى الطَّاعَةِ."

هديناهم، {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ} المراد بها هداية الدلالة والإرشاد لا هداية التوفيق والقبول، لو حصلت لهم هداية التوفيق والقبول ما استبدلوا بها شيئًا، لكنها هداية وإرشاد، فرفضوا هذه الدلالة، وارتكبوا ضدها، استحبوا العمى على الهدى، نسأل الله العافية.

"{ فَأَخَذَتْهُمْ صاعِقَةُ الْعَذابِ الْهُونِ} الْهُونِ" بِالضَّمِّ الْهَوَانُ. وَهَوْنُ بن خزيمة بن مدركة بن إلياس ابن مُضَرَ أَخُو كِنَانَةَ وَأَسَدٍ وَأَهَانَهُ: اسْتَخَفَّ بِهِ وَالِاسْمُ الْهَوَانُ وَالْمُهَانَةُ وَأُضِيفَ الصَّاعِقَةُ إِلَى الْعَذَابِ؛ لِأَنَّ الصَّاعِقَةَ اسْمٌ لِلْمُبِيدِ الْمُهْلِكِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ مُهْلِكُ الْعَذَابِ، أَيِ الْعَذَابُ الْمُهْلِكُ. وَالْهُونُ وَإِنْ كَانَ مَصْدَرًا فَمَعْنَاهُ الْإِهَانَةُ، وَالْإِهَانَةِ عَذَابٌ".

{من يهن الله فما له من مكرم}.

" فَجَازَ أَنْ يُجْعَلَ أَحَدَهُمَا وَصْفًا لِلْآخَرِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: صَاعِقَةُ الْهُونِ. وَهُوَ كَقَوْلِكَ: عِنْدِي عِلْمُ الْيَقِينِ، وَعِنْدِي الْعِلْمُ الْيَقِينُ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْهُونُ اسْمًا مِثْلَ الدُّونِ، يُقَالُ: عَذَابٌ هُونٌ أَيْ مُهِينٌ كَمَا قَالَ: { مَا لَبِثُوا فِي الْعَذابِ الْمُهِينِ"}. [سبأ: ١٤]. وقيل: أي صاعقة العذاب الْهُونِ." بِما كانُوا يَكْسِبُونَ" مِنْ تَكْذِيبِهِمْ صَالِحًا وَعَقْرِهِمُ النَّاقَةَ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ، { وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا} يَعْنِي صَالِحًا وَمَنْ آمَنَ بِهِ، أَيْ مَيَّزْنَاهُمْ عَنِ الْكُفَّارِ، فَلَمْ يَحِلَّ بِهِمْ مَا حَلَّ بِالْكُفَّارِ، وَهَكَذَا يَا مُحَمَّدُ نَفْعَلُ بِمُؤْمِنِي قَوْمِكَ وكفارهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {" وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْداءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ} قَرَأَ نَافِعٌ" نَحْشُرُ" بِالنُّونِ، "أَعْدَاءَ" بِالنَّصْبِ، الْبَاقُونَ" يُحْشَرُ" بِيَاءٍ مَضْمُومَةٍ" أَعْدَاءُ" بِالرَّفْعِ وَمَعْنَاهُمَا بَيِّنٌ. وَأَعْدَاءُ اللَّهِ: الَّذِينَ كَذَّبُوا رُسُلَهُ وَخَالَفُوا أَمْرَهُ، { فَهُمْ يُوزَعُونَ} يُسَاقُونَ وَيُدْفَعُونَ إِلَى جَهَنَّمَ قَالَ قَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ: يُحْبَسُ أَوَّلُهُمْ عل آخِرِهِمْ حَتَّى يَجْتَمِعُوا، قَالَ أَبُو الْأَحْوَصِ: فَإِذَا تَكَامَلَتِ الْعِدَّةُ بُدِئَ بِالْأَكَابِرِ فَالْأَكَابِرِ جُرْمًا. وَقَدْ مضى في" النمل" الكلام في" يُوزَعُونَ" [النمل: ١٧] مستوفى.

قوله تعالى: {حَتَّى إِذا ما جاؤُها} ما" زائدة، { شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ}".

مر بنا مرارًا معنى هذا الإطلاق لحرف من القرآن أنه زائد، وأن المراد به أنه يستقيم الكلام بدونه، ولا يعني أنه لا فائدة منه، لا فائدة من حيث المعنى، أما بالنسبة للإعراب والمعنى فيستقيم

بدونه، لكن له مزيد فائدة من تأكيد ونحوه؛ لأن القرآن مصون من الزيادة والنقصان، والزيادة من غير الله- جل وعلا- هذه مقطوع بعدم وقوعها؛ لأنه تولى الله -جل وعلا- حفظه، وأما ما كان من الله - جل وعلا- فما يستقيم الكلام بدونه يمكن أن يقال له: زائد، والأدب أن يقال: صلة يعني من حيث الإعراب لا محل له كما يقال في صلة الموصول، وهذا يعبر به بعض المفسرين، وهذا من باب الأدب.

"{شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ} لْجُلُودُ يَعْنِي بِهَا الْجُلُودَ أَعْيَانَهَا فِي قَوْلِ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ، وَقَالَ السُّدِّيُّ وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ وَالْفَرَّاءُ: أَرَادَ بِالْجُلُودِ الْفُرُوجَ، وأنشد بعض الأدباء لعامر بن جوية:

المرء يسعى للسلا ... - مه والسلامة حسبه

أو سالم مَنْ قَدْ تَثَنَّى ... جِلْدُهُ وَابْيَضَّ رَأْسُهْ

وَقَالَ: جِلْدُهُ كِنَايَةً عَنْ فَرْجِهِ، " وَقالُوا" يَعْنِي الْكُفَّارَ".

ما يدل على إرادة التخصيص هنا ثنى جلده إذا كبرت سنه تثنى جلده كله.

"" وَقالُوا" يَعْنِي الْكُفَّارَ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا"، وَإِنَّمَا كُنَّا نُجَادِلُ عَنْكُمْ، " قالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ" لَمَّا خَاطَبَتْ وَخُوطِبَتْ أُجْرِيَتْ مَجْرَى مَنْ يَعْقِلُ.

{وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ}".

أجري مجري من يعقل، قالوا: أنطقنا الله، قالوا الأصل هذا أنه للعاقل.

"أَيْ رَكَّبَ الْحَيَاةَ فِيكُمْ بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ نُطَفًا، فَمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ قَدَرَ عَلَى أَنْ يُنْطِقَ الْجُلُودَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْأَعْضَاءِ. وَقِيلَ:" وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ" ابْتِدَاءُ كَلَامٍ مِنَ اللَّهِ." وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ"، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله- فَضَحِكَ فَقَالَ: « هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: « مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ ربه يقول: يا رب، ألم تجزني مِنَ الظُّلْمِ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: يَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيَخْتِمُ عَلَى فِيهِ فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ:

انْطِقِي، فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ»، وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ثُمَّ يُقَالُ: «الْآنَ نَبْعَثُ شاهدنا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ (وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ): انْطِقِي فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذَرَ مِنْ نَفْسِهِ وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ»، خَرَّجَهُ أَيْضًا مسلم."

يعني لو شهد عليه غيره ولو كان أقرب الناس إليه وأحب الناس إليه اتهمه، لكن إذا شهد عليه أبعاضه وأشياؤه لا يستطيع أن يتهم هذه الأبعاض؛ لأنها معذبة بعذابه.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ} يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ قَوْلِ الْجَوَارِحِ لَهُمْ: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- أَوِ الْمَلَائِكَةِ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: اجْتَمَعَ عِنْدَ الْبَيْتِ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ أَوْ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ، قَلِيلٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ، كَثِيرٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ: فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتَرَوْنَ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ؟ فَقَالَ الْآخَرُ: يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا وَلَا يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا، وَقَالَ الْآخَرُ: إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا فَهُوَ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-".

لأن المسافة بعيدة، الذي لا يسمع إلا جهرًا، ولا يسمع السر، المساقة بعيدة جدًّا، لا يسمعها من يسمع الجهر، هذا على جهة التنزل لأفهامهم وعقولهم، قالوا: مادام يسمع إذا جهرنا ويسمع إذا أسررنا وأخفينا؛ لأن المسافة بعيدة لا يسمعها من يسمع الجهر.

" {وما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصارُكُمْ}" الْآيَةَ، خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ فَقَالَ: اخْتَصَمَ عِنْدَ الْبَيْتِ ثَلَاثَةُ نَفَرٌ. ثُمَّ ذَكَرَهُ بِلَفْظِهِ حَرْفًا حَرْفًا وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، حَدَّثَنَا هَنَّادٌ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ عمارة بن عُمَيْرٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: كُنْتُ مُسْتَتِرًا بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فجاء ثلاثة نفر كَثِيرٌ شَحْمِ بُطُونِهِمْ قَلِيلٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ قُرَشِيٌّ وَخَتَنَاهُ ثَقَفِيَّانِ أَوْ ثَقَفِيٌّ وَخَتَنَاهُ قُرَشِيَّانِ، فَتَكَلَّمُوا بِكَلَامٍ لَمْ أَفْهَمْهُ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ كَلَامَنَا هَذَا، فَقَالَ الْآخَرُ: إِنَّا إِذَا رَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا سَمِعَهُ: وَإِذَا لَمْ نَرْفَعْ أَصْوَاتَنَا لَمْ يَسْمَعْهُ، فَقَالَ الْآخَرُ: إِنْ سَمِعَ مِنْهُ شَيْئًا سَمِعَهُ كُلَّهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّم- فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: { وَما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ} إِلَى قَوْلِهِ: { فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ}، قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

قَالَ الثَّعْلَبِيُّ: وَالثَّقَفِيُّ عَبْدُ يَالِيلَ، وَخَتَنَاهُ رَبِيعَةُ وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، وَمَعْنَى { تَسْتَتِرُونَ} تَسْتَخْفُونَ فِي قَوْلِ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ، أَيْ مَا كُنْتُمْ تَسْتَخْفُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ حَذَرًا مِنْ شَهَادَةِ الْجَوَارِحِ عَلَيْكُمْ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يُخْفِيَ مِنْ نَفْسِهِ عَمَلَهُ، فَيَكُونُ الِاسْتِخْفَاءُ بِمَعْنَى تَرْكِ الْمَعْصِيَةِ وَقِيلَ: الِاسْتِتَارُ بِمَعْنَى الِاتِّقَاءِ، أَيْ مَا كُنْتُمْ تَتَّقُونَ فِي الدُّنْيَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَيْكُمْ جَوَارِحُكُمْ فِي الْآخِرَةِ".

يعني رغم مبالغتكم بالاستتار والاختفاء عن الناس ما يمكنكم أن تستترون عن بعضكم وأجزائكم، مهما استتر الإنسان عن غيره فإنه لا يمكن أن يستتر عن يده، عن رجله، عن بطنه، عن فرجه، عن ظهره، عن بقية أبعاضه، لكنهم ما حسبوا لهذا حسابًا أن هذا يشهد عليهم، ومع ذلك لو أنهم استحضروا هذا بعد سماعهم هذا الكلام، والله -جل علا- قد كتب عليهم من الشقاء لن يردعهم مثل هذا ولا أبلغ في ذلك من قوله -جل و علا-: { ولو ردوا لعادوا}، يعني بعد أن يروا العذاب ويذوقوا العذاب يعودون لما نهوا عنه- نسأل الله العافية-.

"أَيْ مَا كُنْتُمْ تَتَّقُونَ فِي الدُّنْيَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَيْكُمْ جَوَارِحُكُمْ فِي الْآخِرَةِ فَتَتْرُكُوا الْمَعَاصِي خَوْفًا مِنْ هَذِهِ الشَّهَادَةِ، وَقَالَ مَعْنَاهُ مُجَاهِدٌ، وَقَالَ قَتَادَةُ: { وَما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ} أَيْ تَظُنُّونَ" أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ" بِأَنْ يَقُولَ سَمِعْتُ الْحَقَّ وَمَا وَعَيْتُ، وَسَمِعْتُ مَا لَا يَجُوزُ مِنَ الْمَعَاصِي، " وَلا أَبْصارُكُمْ" فَتَقُولُ: رَأَيْتُ آيَاتِ اللَّهِ وَمَا اعْتَبَرْتُ، وَنَظَرْتُ فِيمَا لَا يَجُوزُ، " وَلا جُلُودُكُمْ" تَقَدَّمَ". {وَلكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ}" مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَجَادَلْتُمْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى شَهِدَتْ عَلَيْكُمْ جَوَارِحُكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ.

رَوَى بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- فِي قَوْلِهِ: { أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ} قَالَ: « إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُفَدَّمَةً أَفْوَاهُكُمْ بِفِدَامٍ فَأَوَّلُ مَا يُبَيِّنُ عَنِ الْإِنْسَانِ فَخِذُهُ وَكَفُّهُ»، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى: «الشَّامِيُّ فَأَحْسَنَ.

الْعُمْرُ ينقص والذنوب تزيد تقال عَثَرَاتُ الْفَتَى فَيَعُودُ

هَلْ يَسْتَطِيعُ جُحُودَ ذَنْبٍ وَاحِدٍرَجُلٌ جَوَارِحُهُ عَلَيْهِ شُهُودُ

وَالْمَرْءُ يَسْأَلُ عَنْ سِنِيه فَيَشْتَهِي تَقْلِيلَهَا وَعَنِ الْمَمَاتِ يَحِيدُ

وَعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قَالَ: « لَيْسَ مِنْ يَوْمٍ يَأْتِي عَلَى ابْنِ آدَمَ إِلَّا يُنَادَى فِيهِ: يَا ابْنَ آدَمَ أَنَا خَلْقٌ جَدِيدٌ، وَأَنَا فِيمَا تَعْمَلُ غَدًا عَلَيْكَ شَهِيدٌ، فَاعْمَلْ فِيَّ خَيْرًا أَشْهَدْ لَكَ بِهِ غَدًا، فَإِنِّي لَوْ قَدْ مَضَيْتُ لَمْ تَرَنِي أَبَدًا، وَيَقُولُ اللَّيْلُ مِثْلَ ذَلِكَ»، ذَكَرَهُ أَبُو نُعَيْمٍ الْحَافِظُ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي كِتَابِ التَّذْكِرَةِ فِي بَابِ شَهَادَةِ الْأَرْضِ وَاللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ وَالْمَالِ."

هذا مخرج؟ التخريج الذي قبله حديث بهز بن حكيم.

طالب:.....

لا، الأول بهز بن حكيم.

طالب: قال أخرجه...مسعود.

الثاني معقل بن يسار.

طالب: قال في إسناده زيد بن .... وهو ضعيف .....قال أبو نعيم حديث .....زيد ولا أعلمه إلا مرفوعًا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- إلا بهذا الإسناد.

المقصود أنه ضعيف مادام فيه زيد العمي، ولا يخرج من غير حلية.

طالب:.....

نعم

طالب:.....السيوطي.

ماذا؟

طالب: .....

لا ما يكفي، السيوطي فرع، فرع ما يخرج.

"وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ فَأَحْسَنَ:

مَضَى أَمْسُكَ الْأَدْنَى شَهِيدًا مُعَدَّلًا ... - وَيَوْمُكَ هَذَا بِالْفِعَالِ شَهِيدُ

فَإِنْ تَكُ بِالْأَمْسِ اقْتَرَفْتَ إِسَاءَةً ... - فَثَنِّ بِإِحْسَانٍ وَأَنْتَ حَمِيدُ

وَلَا تُرْجِ فِعْلَ الْخَيْرِ مِنْكَ إِلَى غَدٍ".

يعني لا تؤخر من الإرجاء والتأخير.

"لَعَلَّ غَدًا يَأْتِي وَأَنْتَ فَقِيدُ".

ما تدري، – الله المستعان–.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ} أَيْ أَهْلَكَكُمْ فَأَوْرَدَكُمُ النَّارَ. قَالَ قَتَادَةُ: الظَّنُّ هُنَا بِمَعْنَى الْعِلْمِ. وَقَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: « لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ، فَإِنَّ قَوْمًا أَسَاءُوا الظَّنَّ بِرَبِّهِمْ فَأَهْلَكَهُمْ»".

ولذلك يرجح أهل العلم أن يكون الرجاء أغلب في آخر العمر، يحسن الظن بربه، ويكون في حال القوة والنشاط في خوفه أرجح؛ ليبعثه هذا الخوف على العمل، والرجاء يبعث على حسن الظن بالله، فإذا كان الرجاء بهذه المثابة، والخوف بهذه المثابة صارا شرعيين، أما الخوف الذي لا يبعث على عمل، والرجاء الذي يجعل الإنسان يأمن من مكر الله، ويسترسل في المعاصي، فهذا– نسأل الله العافية– من الأمن من مكر الله، شأنه عظيم، كما أن القنوت شأنه أعظم.

طالب:.....

نعم.

طالب: .....

يرجحون الخوف، يخافون من سوء العاقبة، يخافون من سوء العاقبة؛ لأنه لا يدري ما يختم به، حديث ابن مسعود: «وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتي ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها» هذا مخيف جدًّا، يعني وإن جاء في حديث أبي موسى وغيره «فيما يبدوا للناس »، لكن من يضمن أن عمله خالص لله– جل وعلا–؟

طالب:.....

ماذا؟

طالب:...أنهم أحسنوا الظن.

لا، لا، إحسان الظن عند لقائه ولذلك قال: لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن مع حسن العمل، وإحسانه بظنه لا ينافي إساءته بنفسه وعمله.

طالب: سلام عليكم يقول عمر –رضي الله عنه –...

نعم.

طالب: .....

فامحني واكتبني سعيدًا، نعم من باب قوله –جل وعلا–: {يمحوا الله ما يشاء ويثبت}، وهذا مما في أيدي الملائكة، وأما ما في علمه –جل وعلا– فإنه لا يتغير.

" فَذَلِكَ قَوْلُهُ: { وَذلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْداكُمْ}، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِنَّ قَوْمًا أَلْهَتْهُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا لَهُمْ حَسَنَةٌ، وَيَقُولُ أَحَدُهُمْ: إِنِّي أُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّي وَكَذَبَ، وَلَوْ أَحْسَنَ الظَّنَّ لَأَحْسَنَ الْعَمَلَ، وَتَلَا قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: { وَذلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْداكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ}، وَقَالَ قَتَادَةُ: مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَمُوتَ وَهُوَ حَسَنُ الظَّنِّ بِرَبِّهِ فَلْيَفْعَلْ، فَإِنَّ الظَّنَّ اثْنَانِ ظَنٌّ يُنْجِي وَظَنٌّ يُرْدِي. وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَانُوا يُذْمِنُونَ الْمَعَاصِي، وَلَا يَتُوبُونَ مِنْهَا، وَيَتَكَلَّمُونَ عَلَى الْمَغْفِرَةِ، حَتَّى خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا مَفَالِيسَ".

لعلهم يتكلون، يتكلون على المغفرة، ماذا عندكم؟

طالب:.....

ماذا؟

طالب: .....

هؤلاء قوم كانوا يدمنون المعاصي، ولا يتوبون منها، يتكلمون، يعني يستدلون بمثل قوله –جل وعلا–: {إن الله غفور رحيم} هذه، لكل قوم وارث، مازالت محل عناية من كثير ممن يرتكب

المعاصي، ويستدلون بها، كأنهم لا يحفظون في القرآن غيرها، لا يحفظون شديد العقاب، هؤلاء هم المغترون المغرورون، ولو قيل: إنهم يتكلون على المغفرة على ما عند الله -جل وعلا- من مغفرة وسعة رحمة، ويسوفون، ويقولون: إن الله غفور رحيم، فالمعنى ما يختلف، المعني واحد.

طالب: شيخ.

نعم

طالب: .....أصحاب المعاصي...عقوبتهم .....

لا، لا غالب ما يحمل على المعاصي الاعتماد على رحمة الله، سعة رحمة الله.

وعلى كل حال النصوص الشرعية جاءت بالترغيب والترهيب، وهي علاج للمدعو من أفراد وجماعات، الآن أنت عندك أولاد تعرف أن واحدًا منهم لو ضربته تمرد، هذا ما تضرب، ترغبه، والآخر لو رغبته قال: إن الوالد لا شك أنه خائف مني؛ لأني كذا وكذا، مثل هذا يضرب، على كل حال النصوص الشرعية علاج يعالج بها المدعو.

"حَتَّى خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا مَفَالِيسَ ثُمَّ قَرَأَ: { وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ}.

قَوْلُهُ تَعَالَى: { فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ} أَيْ فَإِنْ يَصْبِرُوا فِي الدُّنْيَا عَلَى أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ. نظيره { فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ"} [البقرة: ١٧٥]، عَلَى مَا تَقَدَّمَ {وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا} فِي الدُّنْيَا وَهُمْ مُقِيمُونَ عَلَى كُفْرِهِمْ {فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ}. وقيل: المعنى" فإن يصبروا فِي النَّارِ أَوْ يَجْزَعُوا {فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ} أَيْ لَا مَحِيصَ لَهُمْ عَنْهَا، وَدَلَّ عَلَى الْجَزَعِ قَوْلُهُ:" وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا"؛ لِأَنَّ الْمُسْتَعْتَبَ جَزِعٌ، وَالْمُعْتِبُ الْمَقْبُولُ عِتَابُهُ، قَالَ النَّابِغَةُ:

فَإِنْ أَكُ مظلومًا فعبد ظلمته ... - إن تَكُ ذَا عُتْبَى فَمِثْلُكُ يُعْتِبُ

أَيْ مِثْلُكَ مَنْ قَبِلَ الصُّلْحَ وَالْمُرَاجَعَةَ إِذَا سُئِلَ. قَالَ الْخَلِيلُ: الْعِتَابُ مُخَاطَبَةُ الْإِدْلَالِ وَمُذَاكَرَةُ الْمُوجِدَةِ. تَقُولُ: عَاتَبْتُهُ مُعَاتَبَةً، وَبَيْنَهُمْ أُعْتُوبَةٌ يَتَعَاتَبُونَ بِهَا. يُقَالُ: إِذَا تَعَاتَبُوا أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُمُ الْعِتَابُ. وَأَعْتَبَنِي فُلَانٌ".

يعني كأنها محاسبة ومخالصة بينهما فيصلحهم هذا العتاب، كل واحد يشكو إلى الثاني ما لقيه منه حتى يصلحوا، بخلاف ما إذا سكتوا، كل على ما في نفسه، فإن هذه الأمور تزداد وهم لا يشعرون.

"وَأَعْتَبَنِي فُلَانٌ: إِذَا عَادَ إِلَى مَسَرَّتِي رَاجِعًا عَنِ الْإِسَاءَةِ، وَالِاسْمُ مِنْهُ الْعُتْبَى، وَهُوَ رُجُوعُ الْمَعْتُوبِ عَلَيْهِ إِلَى مَا يُرْضِي الْعَاتِبَ. وَاسْتَعْتَبَ وَأَعْتَبَ بِمَعْنًى، وَاسْتَعْتَبَ أَيْضًا طَلَبَ أَنْ يُعْتَبَ، تَقُولُ: اسْتَعْتَبْتُهُ فَأَعْتَبَنِي أَيِ اسْتَرْضَيْتُهُ فَأَرْضَانِي. فَمَعْنَى { وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا} أَيْ طَلَبُوا الرِّضَا، لَمْ يَنْفَعْهُمْ ذَلِكَ، بَلْ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنَ النَّارِ.

وَفِي التَّفَاسِيرِ: وَإِنْ يَسْتَقِيلُوا رَبَّهُمْ فَمَا هُمْ مِنَ الْمُقَالِينَ. وَقَرَأَ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ وَأَبُو الْعَالِيَةِ: {وَإِنْ يُسْتَعْتَبُوا} بِفَتْحِ التَّاءِ الثَّانِيَةِ وَضَمِّ الْيَاءِ عَلَى الْفِعْلِ الْمَجْهُولِ، " فَما هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ" بِكَسْرِ التَّاءِ أَيْ إِنْ أَقَالَهُمُ اللَّهُ وَرَدَّهُمْ إِلَى الدُّنْيَا لَمْ يَعْمَلُوا بِطَاعَتِهِ لِمَا سَبَقَ لَهُمْ فِي عِلْمِ اللَّهِ مِنَ الشَّقَاءِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ} [الأنعام: ٢٨] ذَكَرَهُ الْهَرَوِيُّ. وَقَالَ ثَعْلَبٌ: يُقَالُ أَعْتَبَ إِذَا غَضِبَ وَأَعْتَبَ إِذَا رَضِيَ.

من الأضداد.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: { وَقَيَّضْنا لَهُمْ قُرَناءَ}" قَالَ النَّقَّاشُ: أَيْ هَيَّأْنَا لَهُمْ شَيَاطِينَ. وَقِيلَ: سَلَّطْنَا عَلَيْهِمْ قُرَنَاءَ يُزَيِّنُونَ عِنْدَهُمُ الْمَعَاصِي، وَهَؤُلَاءِ الْقُرَنَاءُ مِنَ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ وَمِنَ الْإِنْسِ أَيْضًا، أَيْ سَبَّبْنَا لَهُمْ قُرَنَاء."

هيأنا لهم قرناء، وأثر الصاحب واضح، هؤلاء القرناء من الشياطين من الإنس والجن أثرهم ظاهر، كما أن أثر الصحبة الصالحة والرفقة الصالحة على من يقارنهم كذلك، ولذا جاء في الحديث: «مثل الجليس الصالح ومثل الجليس السوء».

"يُقَالُ: قَيَّضَ اللَّهُ فُلَانًا لِفُلَانٍ أَيْ جَاءَهُ بِهِ وَأَتَاحَهُ لَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَيَّضْنا لَهُمْ قُرَناءَ} الْقُشَيْرِيُّ: وَيُقَالُ: قَيَّضَ اللَّهُ لِي رِزْقًا أَيْ أَتَاحَهُ كَمَا كُنْتُ أَطْلُبُهُ، وَالتَّقْيِيضُ الْإِبْدَالُ وَمِنْهُ الْمُقَايَضَةُ، قَايَضْتُ الرَّجُلَ مُقَايَضَةً أَيْ عَاوَضْتُهُ بِمَتَاعٍ، وَهُمَا قَيْضَانِ كَمَا تَقُولُ بَيْعَانِ. "{فَزَيَّنُوالَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَحَسَّنُوهُ لَهُمْ حَتَّى آثَرُوهُ عَلَى الْآخِرَةِ " وَما خَلْفَهُمْ" حَسَّنُوا لَهُمْ مَا بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، وَدَعَوْهُمْ إِلَى التَّكْذِيبِ بِأُمُورِ الْآخِرَةِ، عَنْ مُجَاهِدٍ.

وَقِيلَ: الْمَعْنَى" قَيَّضْنا لَهُمْ قُرَناءَ" فِي النَّارِ" فَزَيَّنُوا لَهُمْ" أَعْمَالَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَالْمَعْنَى قَدَّرْنَا عَلَيْهِمْ أَنَّ ذَلِكَ سَيَكُونُ، وَحَكَمْنَا بِهِ عَلَيْهِمْ.

وَقِيلَ: الْمَعْنَى أَحْوَجْنَاهُمْ إِلَى الْأَقْرَانِ، أَيْ أَحْوَجْنَا الْفَقِيرَ إِلَى الْغَنِيِّ؛ لِيَنَالَ مِنْهُ، وَالْغَنِيَّ إِلَى الْفَقِيرِ؛ لِيَسْتَعِينَ بِهِ، فَزَيَّنَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ الْمَعَاصِي، وَلَيْسَ قَوْلُهُ:" وَما خَلْفَهُمْ" عَطْفًا عَلَى " مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ" بَلِ الْمَعْنَى وَأَنْسَوْهُمْ مَا خَلْفَهُمْ فَفِيهِ هَذَا الْإِضْمَارُ".

يعني العامل بما بين أيديهم زينوا، والعامل في قوله: ما خلفهم نسوا، الأول زينوا، والثاني نسوا، يعني زينوا لهم فأنسوهم، زينوا لهم ما بين أيديهم فأنسوهم ما خلفهم.

"قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:" مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ" تَكْذِيبُهُمْ بِأُمُورِ الْآخِرَةِ، " وَما خَلْفَهُمْ" التَّسْوِيفُ وَالتَّرْغِيبُ فِي الدُّنْيَا، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: " مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ" مَا عَمِلُوهُ، " وَما خَلْفَهُمْ" مَا عَزَمُوا عَلَى أَنْ يَعْمَلُوهُ. وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُ مُجَاهِدٍ.

وَقِيلَ: الْمَعْنَى: لَهُمْ مِثْلَ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْمَعَاصِي، " وَما خَلْفَهُمْ" مَا يُعْمَلُ بَعْدَهُمْ." وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ" أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَذَابِ مَا وَجَبَ عَلَى الْأُمَمِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَكُفْرِهِمْ".

ما يعمل بعدهم بسببهم ويكون لهم فيه يد لتكون عليهم من أوزرهم من يعمل به، أما ما يعمل بعدهم مما لا يتسببون فيه فهذا لا يدخل في التزيين المذكور.

"وَقِيلَ:" فِي" بِمَعْنَى مَعَ، فَالْمَعْنَى هُمْ دَاخِلُونَ مَعَ الْأُمَمِ الْكَافِرَةِ قَبْلَهُمْ فِيمَا دَخَلُوا فِيهِ. وَقِيلَ:" فِي أُمَمٍ" فِي جُمْلَةِ أُمَمٍ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

إن تك عن أحسن الصنيعة مأ ... فوكا فَفِي آخَرِينَ قَدْ أُفِكُوا

يُرِيدُ فَأَنْتَ فِي جُمْلَةِ آخَرِينَ لَسْتُ فِي ذَلِكَ بِأَوْحَدَ. وَمَحَلٌّ" فِي أُمَمٍ" النَّصْبُ عَلَى الْحَالِ مِنَ الضَّمِيرِ فِي" عَلَيْهِمُ" أَيْ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ كَائِنِينَ فِي جُمْلَةِ أُمَمٍ."

يعني صاحب الحال يجوز أن يكون مجرورًا، مررت بزيد مضروبًا، يعني حال كونه مضروبًا، لكن لا يجوز أن يكون مضافًا إليه إلا إذا كان المضاف جزأً من المضاف إليه أو شبه جزء، أو يصلح أن يعمل فيه، {إليه مرجعكم جميعًا} المرجع يصلح أن يعمل بالحال.

ولا تجوز حالاً من المضاف له إلا إذا اقتضى المضاف عمله

أو كان جزء ما له أضيف أو مثل جزئه فلا تحيف

فرق بين أن يكون صاحب الحال مجرورًا بالحرف، وبين أن يكون مجرورًا بالإضافة، ولذا قال: النصب على الحال من الضمير في عليهم؛ لأنه يلتبس على بعض الطلاب أنه إذا لم يجز حال من المضاف إليه فكيف يجوز من المجرور؟

"{إِنَّهُمْ كانُوا خاسِرِينَ} أَعْمَالَهُمْ في الدنيا، وأنفسهم وأهليهم يوم القيامة. قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ} لَمَّا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ كُفْرِ قَوْمِ هُودٍ وَصَالِحٍ وَغَيْرِهِمْ أَخْبَرَ عَنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، وَأَنَّهُمْ كَذَّبُوا الْقُرْآنَ فَقَالُوا: { لَا تَسْمَعُوا}، وَقِيلَ: مَعْنَى " لَا تَسْمَعُوا" لَا تُطِيعُوا، يُقَالُ: سَمِعْتُ لَكَ أَيْ أَطَعْتُكَ، { وَالْغَوْا فِيهِ}، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: إِذَا قَرَأَ مُحَمَّدٌ".

يعني لا يكفي أن لا تسمعوا، بل شوشوا على من أراد أن يسمع، يعني لا يكفي أن لا تسمعوا فتتأثروا، بل شوشوا على من أراد أن يسمع فلا يتأثر، والغوا فيه، يعني تكلموا وأوجدوا جلبة وأصواتًا، يعني هذا يستعمل الآن حتى في الأمور العامة في الإذاعات وغيرها إذا كان هناك شقاق ونزاع من بعض الفئات على بعض يشوشون على ما يراد أن يبث لهم مثلاً يشوش عليه ولا يستفيدون، وهذا من هذا النوع، إذاعة القرآن يشوش عليها في كثير من الأقطار؛ لئلا تؤثر في الناس.

"قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ إِذَا قَرَأَ مُحَمَّدٌ فَصِيحُوا فِي وَجْهِهِ حَتَّى لَا يَدْرِي مَا يَقُولُ. وَقِيلَ: إِنَّهُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَمَّا أَعْجَزَهُمُ الْقُرْآنُ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْمَعْنَى { وَالْغَوْا فِيهِ} بِالْمُكَاءِ وَالتَّصْفِيقِ وَالتَّخْلِيطِ فِي الْمَنْطِقِ حَتَّى يَصِيرَ لَغْوًا، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: أَكْثِرُوا الْكَلَامَ؛ لِيَخْتَلِطَ عَلَيْهِ مَا يَقُولُ. وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ وَابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا: قِعُوا فِيهِ. وَعَيِّبُوهُ. " لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ" مُحَمَّدًا عَلَى قِرَاءَتِهِ، فَلَا يَظْهَرُ وَلَا يَسْتَمِيلُ الْقُلُوبَ.

وَقَرَأَ عِيسَى بْنُ عُمَرَ وَالْجَحْدَرِيُّ وَابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ وَأَبُو حَيْوَةَ وَبَكْرُ بْنُ حَبِيبٍ السَّهْمِيُّ: " وَالْغُوا" بِضَمِّ الْغَيْنِ، وَهِيَ لُغَةٌ مِنْ لَغَا يَلْغُو. وَقِرَاءَةُ الْجَمَاعَةِ مِنْ لَغِيَ يَلْغَى قَالَ الْهَرَوِيُّ: وَقَوْلُهُ:" وَالْغَوْا فِيهِ" قِيلَ: عَارِضُوهُ بِكَلَامٍ لَا يُفْهَمُ. يُقَالُ: لَغَوْتُ أَلْغُو وَأَلْغَى، وَلَغِيَ يَلْغَى ثَلَاثُ لُغَاتٍ. وَقَدْ مَضَى مَعْنَى اللَّغْوِ فِي " الْبَقَرَةِ"، وَهُوَ مَا لَا يُعْلَمُ لَهُ حَقِيقَةٌ وَلَا تَحْصِيلٌ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: { فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذاباً شَدِيداً} قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الذَّوْقَ يَكُونُ مَحْسُوسًا، وَمَعْنَى الْعَذَابِ الشَّدِيدِ: ما يتوالى فلا ينقطع. الْعَذَابُ فِي جَمِيعِ أَجْزَائِهِمْ، { وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ} أَيْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ جَزَاءَ قُبْحِ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا. وَأَسْوَأُ الْأَعْمَالِ الشِّرْكُ."

لنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون، الأسوء من الأعمال هو الشرك، قد يفهم من هذا أنهم لا يعاقبون إلا على الشرك، وأنهم لا يؤاخذون بغيره ماداموا مشركين، ويستدل به من قال: إنهم لا يخاطبون بالفروع، هل هذا الاستدلال صحيح؟

طالب:.....

ماذا؟

طالب:.....

كيف

طالب:.....

ولنجزينهم أسوأ، المراد به سيئ أعمالهم فيشمل الشرك وغيره.

طالب: .....

نعم كيف

طالب:...أسوء ...

لا، ما يختلف، ما يختلف إذا قلنا: أسوء الأعمال الشرك، وهم يجزون ويجازون الذي هو أسوء الأعمال الذي هو الشرك فمعناه أنهم لا يجازون على غيره من المعاصي والمنكرات والفجور، فيصح أن يستدل به من يقول بأنهم غير مخاطبين بالفروع، لكن إذا قلنا: إن أفعل التفضيل ليس على بابها، وأن الأسوء بمعنى السيئ شمل الشرك وغيره، نعم نظيره في تصرفات الناس إذا وجدت مخالفات من شخص، يعني شخص ترك الصلاة وهو مسبل إزاره مثلاً، أو بيده خاتم ذهب أو يدخن أو ما أشبه ذلك، هل يكون عقابه على السوء الذي هو ترك الصلاة، ويترك

الباقي، أو يعاقب على الأخف فيناقش عن خاتم الذهب مع أنه ما صلى أو على الدخان، مع كونه زنا، أو ما أشبه ذلك؟

والأصل المعاقبة على الأسوأ، ثم بعد ذلك يعاقب على ما دونه، يعاقب على ما دونه، وإن كان التنظير غير مطابق غير مطابق؛ لأن هذه الأعمال من قبل المخلوقين قد لا يستوعبون، لا معاقبة على كل شيء، بينما المعاقبة في الدار الآخرة أعمالهم مدونة في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ} أَيْ ذَلِكَ الْعَذَابُ الشَّدِيدُ، ثُمَّ بَيَّنَهُ بِقَوْلِهِ: " النَّارُ"، وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: " ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ دَارُ الْخُلْدِ" فَتَرْجَمَ بِالدَّارِ عَنِ النَّارِ، وَهُوَ مَجَازُ الْآيَةِ. وَ"ذَلِكَ" ابْتِدَاءٌ، وَ" جَزَاءُ" الْخَبَرُ، وَ" النَّارُ" بَدَلٌ مِنْ" جَزَاءٍ"، أَوْ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مُضْمَرٌ، والجملة في موضع بيان للجملة الأولى.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا} يَعْنِي فِي النَّارِ، فَذَكَرَهُ بِلَفْظِ الْمَاضِي، وَالْمُرَادُ الْمُسْتَقْبَلُ".

أي تحقق وقوعه، يعبر عنه بالماضي، وأنه وقع أو كالواقع، قال الذين كفروا، هم سيقولون فيما بعد، كما في قوله -جلا وعلا-: { أتى أمر الله } المراد سيأتي، لكن لتحقق الوقوع عُبر عنه بالماضي.

"{رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ} يَعْنِي إِبْلِيسَ وَابْنَ آدَمَ الَّذِي قَتَلَ أَخَاهُ. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِمَا".

الأمر أعم من ذلك، كل من أضل من الجن والإنس تطلب رؤيته؛ لينتقم منه.

طالب: .....فرعون...

ماذا فيه؟

طالب: .....

على كل حال هو ضال مضل، كل من كان ضالًّا مضلًّا يدعى.

طالب:.....

كذلك، المقصود أن كل من كان في هذا الباب أدخل كان دخوله أقرب.

طالب:.....

ماذا؟

طالب: ما يقوله .....العربية.....

إذا تأكد من أن غلامًا سيقول كذا فما فيه ما يمنع إلا إذا وقع في لبس وإشكال وعدم فهم السامع، أما إذا كان السامع يفهم، دلت القرائن على أنه لم يقل، وعلة أنه محقق أن يقول ما فيه ما يمنع.

" **وَيَشْهَدُ لِهَذَا الْقَوْلِ الْحَدِيثُ الْمَرْفُوعُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُقْتَلُ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ ذَنْبِهِ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ»، خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ**".

خرجه الترمذي، مع أنه ندم، والندم توبة، فأصبح من النادمين، الندم توبة منهم، هذا كان في شرعهم، وأن الندم ليس بتوبة بخلاف شرعنا، ومنهم من يقول: إن الندم على القتل، وإنما ندم على حمله هذه المدة الطويلة، والأمر ميسور، يحفر في الأرض ويدفنه، ما ندم على قتله، هذا قال به أكثر المفسرين.

طالب: .....

ماذا؟

طالب:.....سن القتل ...

ماذا؟

طالب: لأنه هو أول من سن القتل، وهو سن القتل رجلاً....

لأنه أول من سن القتل...

طالب: قال.... في سننه، والترمذي...وعنده النفس بدل مسلم، ودمها بدل دمه.

على كل حال هو أول من سن، يعني أول من بدأه.

طالب: السلام عليكم الندم...توبة وحده..

نعم

طالب: ليكون توبة.

جاء الخبر: «الندم توبة».

طالب:.....وحده ليكون من...

لابد من الإقلاع، لابد من العزم على عدم العودة؛ لأن الذي ما عنده عزم على عدم العودة ما ندم، والذي يكرر ولا يقلع فهذا ما ندم؛ لأنه يجمع الأمور الثلاثة، الندم يجمع الأمور الثلاثة، يجمع الشروط كلها.

طالب: يعني يندم هنا.....

كيف؟

طالب: يندم وما .....

يندم على ما حصل، ويرغب فيما سيأتي يمكن.

طالب:....

إذن هو نادم على ما ذهب وما سيأتي، فمن شرط التوبة الإقلاع، فالنادم لابد أن يقلع، وإلا كان ندمه دعوى، ليست صحيحة، ويعزم على ألا يعود، يعزم على ألا يعود، وإن كان عازمًا على أن يعود فندمه دعوى.

"وَقِيلَ: هُوَ بِمَعْنَى الْجِنْسِ، وبني على التثنية؛ لاختلاف الجنسين، { نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين} سَأَلُوا ذَلِكَ حَتَّى يَشْتَفُوا مِنْهُمْ بِأَنْ يَجْعَلُوهُمْ تَحْتَ أَقْدَامِهِمْ؛ " لِيَكُونا مِنَ الْأَسْفَلِينَ" فِي النَّارِ، وَهُوَ الدَّرْكُ الْأَسْفَلُ، سَأَلُوا أَنْ يُضَعِّفَ اللَّهُ عَذَابَ مَنْ كَانَ سَبَبَ ضَلَالَتِهِمْ مِنَ الْجِنِّ والإنس. وقرأ ابن محيصن وَالسُّوسِيُّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ وَأَبُو بَكْرٍ وَالْمُفَضَّلُ: "أَرْنَا" بِإِسْكَانِ الرَّاءِ، وَعَنْ أَبِي عَمْرٍو أَيْضًا بِاخْتِلَاسِهَا، وَأَشْبَعَ الْبَاقُونَ كَسْرَتَهَا".

وينطقونها بين الكسرة والسكون من غير تحقيق الكسر.

وَقَدْ تقدم في " الأعراف".

يكفي إن شاء الله.

تفسير القرطبي

سورة فصلت

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:		**المكان:**	

"وَرُوِيَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -أَنَّهُ قَالَ: {ثُمَّ اسْتَقَامُوا} لَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا. وَرَوَى عَنْهُ الْأَسْوَدُ بْنُ هِلَالٍ أَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: مَا تَقُولُونَ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ، { إِنَّ الَّذِينَ قالُوارَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا} وَ{ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُمْ بِظُلْمٍ} فَقَالُوا: اسْتَقَامُوا فَلَمْ يُذْنِبُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِخَطِيئَةٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَقَدْ حَمَلْتُمُوهَا عَلَى غَيْرِ الْمَحْمَلِ{ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا"} فَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى إِلَهٍ غَيْرِهِ { وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُمْ"} بِشِرْكٍ، { أُولئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}".

يعني كما جاء في تفسير الإيمان في هذه الآية باللبس الإيمان بالظلم، الظلم هو الشرك، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أي بشرك، الصحابة -رضوان الله عليهم- تعاظموها، وأينا لم يظلم نفسه، قال: ليس ذلك، إنما الظلم هو الشرك، ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح: {إن الشرك لظلم عظيم}، وهذا التفسير بأعظم أفراده، بأعظم أفراد الظلم، أعظم أفراد الظلم الشرك، ويتناول الشرك وما دونه.

" وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -أَنَّهُ قَالَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَخْطُبُ: { إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا} فَقَالَ: اسْتَقَامُوا وَاللَّهِ عَلَى الطَّرِيقَةِ لِطَاعَتِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْغُوا رَوَغَانَ الثَّعَالِبِ، وَقَالَ عُثْمَانُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: ثُمَّ أَخْلَصُوا الْعَمَلَ لِلَّهِ، وَقَالَ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: ثُمَّ أَدَّوُا الْفَرَائِضَ. وَأَقْوَالُ التَّابِعِينَ بِمَعْنَاهَا. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ وَقَتَادَةُ: اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّاعَةِ لِلَّهِ، وَقَالَ الْحَسَنُ: اسْتَقَامُوا عَلَى أَمْرِ اللَّهِ فَعَمِلُوا بِطَاعَتِهِ وَاجْتَنَبُوا مَعْصِيَتَهُ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ: اسْتَقَامُوا عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَتَّى مَاتُوا. وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: عَمِلُوا عَلَى وِفَاقِ مَا قَالُوا. وَقَالَ الرَّبِيعُ: أَعْرَضُوا عَمَّا سِوَى اللَّهِ. وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: زَهِدُوا فِي الْفَانِيَةِ وَرَغِبُوا فِي الْبَاقِيَةِ. وَقِيلَ: اسْتَقَامُوا إِسْرَارًا كَمَا اسْتَقَامُوا إِقْرَارًا. وَقِيلَ: اسْتَقَامُوا فِعْلًا كَمَا اسْتَقَامُوا قَوْلًا. وَقَالَ أَنَسٌ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هُمْ أُمَّتِي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ» وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ فورك: السين سين الطلب مثل اسْتَسْقَى أَيْ سَأَلُوا مِنَ اللَّهِ أَنْ يُثَبِّتَهُمْ عَلَى الدِّينِ، وَكَانَ الْحَسَنُ إِذَا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ قَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّنَا فَارْزُقْنَا الِاسْتِقَامَةَ، قُلْتُ: وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ- وَإِنْ تَدَاخَلَتْ- فَتَلْخِيصُهَا: اعْتَدِلُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَقْدًا وَقَوْلًا وَفِعْلًا، وَدَامُوا على ذلك.

{تتنزل عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ} قَالَ ابْنُ زَيْدٍ وَمُجَاهِدٌ: عِنْدَ الْمَوْتِ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ وَقَتَادَةُ: إِذَا قَامُوا مِنْ قُبُورِهِمْ لِلْبَعْثِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هِيَ بُشْرَى تَكُونُ لَهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِي الْآخِرَةِ وَقَالَ وَكِيعٌ وَابْنُ زَيْدٍ: الْبُشْرَى فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ عِنْدَ الْمَوْتِ وَفِي الْقَبْرِ وَعِنْدَ الْبَعْثِ" أَلَّا تَخافُوا" أَيْ بِ" أَلَّا تَخافُوا".

وأكثر المفسرين على أنها البشرى التي تكون عند الموت، وإذا حصلت له هذه البشرى أمن واطمأن، فيستصحب هذا الأمن وهذه الطمأنينة في جميع المواقف، وكل ما يحصل له من خوف أو فزع لاحق فإن الملائكة تبشرهم في كل موطن ألا تخافوا مما أمامكم، وألا تحزنوا على ما خلفتم، والله المستعان .

"فَحُذِفَ الْجَارُّ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: لَا تخافوا الموت." وَلا تَحْزَنُوا" عَلَى أَوْلَادِكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ خَلِيفَتُكُمْ عَلَيْهِمْ. وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ: لَا تَخَافُوا رَدَّ ثَوَابِكُمْ فَإِنَّهُ مَقْبُولٌ، وَلَا تَحْزَنُوا عَلَى ذُنُوبِكُمْ فإني أغفرها لكم".

يعني إذا جاءت هذه البشارة وإلا قبل البشارة على المسلم أن يكون خائفًا راجيًا، يخاف من رد ثواب عمله إساءة منه ظنًّا بنفسه لا بربه، على الإنسان أن يحسن الظن بربه، لكن يسيء الظن بنفسه، وأنه فعل هذه الأفعال، وعمل هذه الأعمال على شيء من التقصير، وعلى شيء من الخلل، وقد يكون قد ارتكب شيئًا ترد هذه الأعمال بسببه، فيكون خائفًا وجلاً، فيكون خائفًا وجلاً، {والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة}، {والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة} لابد من الخوف، تقول عائشة: هم الذين يزنون هم الذين يسرقون هم الذين..؟ قال «لا يا ابنة الصديق» هم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون أن ترد أعمالهم، ما الذي يضمن؟ ولذا يقول ابن عمر – رضي الله عنهما– لو أعلم أن الله –جل وعلا– تقبل مني ركعتين لكان كذا وكذا، فرح بذلك فرحًا عظيمًا لماذا؟

لأن الله– حل وعلا– يقول: { إنما يتقبل الله من المتقين}، ولو لم يكن مما يبعث على الخوف إلا مثل هذه الآية لكفى، من يزعم لنفسه التقوى؟ نعم على الإنسان أن يعمل، وعلى الإنسان أن يجتهد وأن يعمل مخلصًا لربه متبعًا لنبيه– عليه الصلاة والسلام–، والنتائج بيد الله، يحرص جاهدًا على إخلاص النية لله –جل وعلا–.

" وَقَالَ عِكْرِمَةُ: وَلَا تَخَافُوا أَمَامَكُمْ، وَلَا تَحْزَنُوا عَلَى ذُنُوبِكُمْ، وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ".

طالب: .....

لا، هذا عكرمة مولى ابن عباس.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} أَيْ تَقُولُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ بالبشارة: " نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ"، قال مجاهد: أي نحن قرناؤكم الَّذِينَ كُنَّا مَعَكُمْ فِي الدُّنْيَا، فَإِذَا

كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالُوا: لَا نُفَارِقُكُمْ حَتَّى نُدْخِلَكُمُ الْجَنَّةَ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: أَيْ نَحْنُ الْحَفَظَةُ لِأَعْمَالِكُمْ في الدنيا، وأولياؤكم فِي الْآخِرَةِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ وَمَوْلَاهُمْ.

{وَلَكُمْ فِيها مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ} أَيْ مِنَ الْمَلَاذِ." وَلَكُمْ فِيها مَا تَدَّعُونَ" تَسْأَلُونَ وَتَتَمَنَّوْنَ، "نُزُلًا" أَيْ رِزْقًا وَضِيَافَةً، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي آلِ عِمْرَانَ، وَهُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ، أَيْ أَنْزَلْنَاهُ نُزُلًا. وَقِيلَ: عَلَى الْحَالِ، وَقِيلَ: هُوَ جَمْعُ نَازِلٍ، أَيْ لَكُمْ مَا تَدَّعُونَ نَازِلِينَ، فَيَكُونُ حَالًا مِنَ الضَّمِيرِ الْمَرْفُوعِ فِي" تَدَّعُونَ" أو من المجرور في" لكم".

قَوْلُهُ تَعَالَى: { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صالِحاً} هَذَا تَوْبِيخٌ لِلَّذِينَ تَوَاصَوْا بِاللَّغْوِ فِي الْقُرْآنِ، وَالْمَعْنَى: أَيُّ كَلَامٍ أَحْسَنُ مِنَ الْقُرْآنِ، وَمَنْ أَحْسَنَ قَوْلًا مِنَ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَهُوَ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟

قَالَ ابْنُ سِيرِينَ وَالسُّدِّيُّ وَابْنُ زَيْدٍ وَالْحَسَنُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَكَانَ الْحَسَنُ إِذَا تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ يَقُولُ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ، هَذَا حَبِيبُ اللَّهِ، هَذَا وَلِيُّ اللَّهِ، هَذَا صَفْوَةُ اللَّهِ، هَذَا خِيرَةُ اللَّهِ، هَذَا وَاللَّهِ أَحَبُّ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ، أَجَابَ اللَّهَ فِي دَعْوَتِهِ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى مَا أَجَابَ إِلَيْهِ".

نعم، دخول النبي-عليه الصلاة والسلام- في هذه الآية دخول قطعي وأولي، وهو أولى الناس بها، ويدخل فيها من تبعه على الدعوة إلى الله على بصيرة، نعم {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني} قل هذه، هذه سبيلي أدعو إلى الله علي بصيرة أنا ومن اتبعني فأتبعه، ويدخلون في مثل هذه الآية، فيكون قولهم أحسن الأقوال، وهو الدعوة إلى الله -جل وعلا-.

نعم الدعوة بالقول التي يصدقها العمل، وعمل صالحًا مع الاعتزاز بدينه وقال: إنني من المسلمين؛ لأن بعض الناس قد يستخفي بدينه، ويرى أن فيه شيئًا من الضعة، لاسيما إذا عاش في بلاد غير بلاد المسلمين، أو بلاد يكثر فيها الفساق، تجد المسلم يستخفي بدينه، ولا يعلنه، ولا يعتز به، ولا يظهره في بلاد الكفر، وتجد صاحب الاستقامة بين الفساق تجده أحيانًا يستخفي باستقامته، وقد يوافق أهل الفسق في شيء من تصرفاتهم وعبارتهم، كل هذا؛ من أجل إخفاء ما هو عليه، ولكن ينبغي للمسلم أن يعتز بدينه، يدعو إلى الله على بصيرة، ويعمل صالحًا ويقول: إنني من المسلمين، لا يخاف في ذلك لومة لائم.

نعم إن خشي على نفسه فعل فاعل، لا لومة لائم، مجرد كلام فله أن يوري، وله أن يتبع بعض الرخص التي تنقذه من هذا الفعل الذي يخوف به، يخوف بالفعل من فاعل قادر، لا مانع، لكن مع ذلك بالنسبة للقول مهما بلغ القول؛ لأنه لابد للمسلم عن فعل الخير، ولا يخافون في الله لومة لائم، اللوم يكون بالقول، أما بالفعل فإذا خشى على نفسه الضرر بالفعل، فإن له أن يتقي، ويكون حينئذ مكرهًا.

" وَقَالَتْ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- وَعِكْرِمَةُ وَقَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ وَمُجَاهِدٌ: نَزَلَتْ فِي الْمُؤَذِّنِينَ".

المؤذنون كونهم يدعون إلى الصلاة، وهي دعوة إلى الله، فيدخلون في عموم الآية، أما كونها نزلت فيهم فالآية مكية، والأذان بالمدينة، فلا يتصور أنها نزلت فيهم.

"قَالَ فُضَيْلُ بْنُ زُفَيْدَةَ: كُنْتُ مُؤَذِّنًا لِأَصْحَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ لِي عَاصِمُ بْنُ هُبَيْرَةَ: إِذَا أَذَّنْتَ فَقُلْتَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقُلْ: وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ، قال ابن العربي: والأول أَصَحُّ؛ لِأَنَّ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ وَالْأَذَانَ مَدَنِيٌّ، وَإِنَّمَا يَدْخُلُ فِيهَا بِالْمَعْنَى، لَا أَنَّهُ كَانَ الْمَقْصُودَ وَقْتَ الْقَوْلِ، وَيَدْخُلُ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ حِينَ قَالَ فِي النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَقَدْ خَنَقَهُ الْمَلْعُونُ { أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ} [غافر: ٢٨]، وَتَتَضَمَّنَ كُلَّ كَلَامٍ حَسَنٍ فِيهِ ذِكْرُ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ.

قُلْتُ: وَقَوْلٌ ثَالِثٌ وَهُوَ أَحْسَنُهَا، قَالَ الْحَسَنُ: هَذِهِ الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ. وَكَذَا قَالَ قَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: نَزَلَتْ فِي كُلِّ مُؤْمِنٍ. قَالَ: وَمَعْنَى {وَعَمِلَ صالِحاً} الصَّلَاةُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ. وَقَالَهُ أَبُو أُمَامَةَ، قَالَ: صَلَّى رَكْعَتَيْنِ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ:" وَعَمِلَ صالِحاً" صَلَّى وَصَامَ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: أَدَّى الْفَرَائِضَ.

قُلْتُ: وَهَذَا أَحْسَنُهَا مَعَ اجْتِنَابِ الْمَحَارِمِ وَكَثْرَةِ الْمَنْدُوبِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ."

نعم الأعمال الصالحة عبارة عن فعل ما أمر الله به، والكف عما نهى الله عنه، ومؤداه إلى التقوى، مؤداه إلى التقوى من فعل ما أمر به وكف عما نهي عنه فهو التقي.

طالب: السلام عليكم يقول عاصم.....

نعم.

طالب: .....

يعني تطبيق للآية وقال إنني من المسلمين.

طالب:.....

رأى أن المؤذن يدخل في الآية، فهو دعا إلى الله، وعمل صالحًا فعليه أن يكمل ويقول: أنا من المسلمين، من باب تتميم ما جاء في الآية، لكن هو قول على كل حال، ليس من المرفوع

طالب:.....

لا، لا.

طالب: الآية ...

لا ، لا.

طالب: المراد.....

لا، لا ليس مراده أن يقوله علنًا في مكان الأذان بصوت الأذان، بطريقة أداء الأذان، لا، يعني رأى أنه يدخل في هذه الآية، فما بقى عليه إلا أن يقول: وإنني من المسلمين، فليقلها. يعني كلام هذا.

طالب:...قال يا .....

على كل حال إذا كان عند الشهادة شهادة .. فلا مانع؛ لأنه عند ذكره، وأما بعده، جاءت الصلاة على النبي –عليه الصلاة والسلام – بعد الذكر المشروع بعد الأذان.

على كل حال ينبغي أن يكون الأذان من أوله إلى آخره منفصلاً متحيزا عن كل قول، فما أدخل فيه فهو بدعة، وإذا انفصل عنه شيء آخر فإن كان مطلقًا فلا مانع منه، وإذا كان مقيدًا بوقت أو زمان دخل حيز الابتداع ما لم يرد به دليل.

طالب:شيخ سلام عليكم.....

ويقول: إن ترك الواجبات محرم، فيترك، صح؟ هذا قصده؟

طالب: .....والدليل...

لابد منهما معًا لابد أن يأتي بما أمر به، ويترك ما نهي عنه، هذه حقيقة التقوى، لكن من قال: التقوى ترك المنهي مطلقًا فقط، ولا يتعرض للمأمور، فلأن ترك المحذور يتطلب فعل المأمور؛ لأن ترك المأمور يتطلب فعل المحذور، نظير من يقول: إنه شرط العبادة واحد أن يكون متبعًا فيه النبي –عليه الصلاة والسلام–، ولا يلزم شرط الإخلاص، لماذا لأنه لا يكون متبعًا للنبي– عليه الصلاة والسلام – إلا إذا كان مخلصًا، لكن هناك أشياء لابد من التنصيص عليها، وإن دخلت في غيرها لأهميتها.

طالب: من يستدل بفضل الدعوة على طلب العلم...

الدعوة بدون علم ماذا تصير؟

طالب:....

فيه دعوة بدون علم؟ ما فيه دعوة بدون علم هذا يضر أكثر مما ينفع.

طالب: يعني يكون عنده علم ويدعو إليه أو ينشر....

هو لابد من العلم أولاً ثم العمل ثم الدعوة ثم الصبر هذه المسائل الأربعة المقررة في سورة النصر.

لابد من أن يتعلم ثم يعمل ثم يدعو ويعلم دعوته التعليم من الدعوة.

طالب: هناك قدر من التعليم المشترك بين ....

على حسب الحاجة، على حسب الحاجة إذا كانت الأمة بحاجة إلى من يدعو من أنصاف المتعلمين صار في حقه أفضل، وإذا كانت الحاجة إلى الراسخين في العلم أدعى وأكثر صار التفرغ للعلم ولو صار على حساب الدعوة أفضل؛ لأن بعض الجهات تحتاج إلى أنصاف المتعلمين، يعني في أطراف الشمال والجنوب عندنا المدرس بالمعهد كافٍ، ولا يلزم أن يذهب لهم العالم فلان، ما يلزم، لا يكفونه، لكن طلاب العلم في الحواضر وكبار المدن لابد لهم من علماء فوق ذلك.

" قُلْتُ: وَهَذَا أَحْسَنُهَا مَعَ اجْتِنَابِ الْمَحَارِمِ وَكَثْرَةِ الْمَنْدُوبِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

{وَقالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: وَمَا تَقَدَّمَ يَدُلُّ عَلَى الْإِسْلَامِ، لَكِنْ لَمَّا كَانَ الدُّعَاءُ بِالْقَوْلِ وَالسَّيْفِ يَكُونُ لِلِاعْتِقَادِ وَيَكُونُ لِلْحُجَّةِ، وَكَانَ الْعَمَلُ يَكُونُ لِلرِّيَاءِ وَالْإِخْلَاصِ، دَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ التَّصْرِيحِ بِالِاعْتِقَادِ لِلَّهِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، وَأَنَّ الْعَمَلَ لِوَجْهِهِ.

مَسْأَلَةٌ: لَمَّا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { وَقالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}".

يعني كلام ابن العربي يقول: لما كان الدعاء بالقول والسيف يكون الاعتقاد لما وقر في قلب المسلم الداعي، ويكون للحجة، يعني يحاج به خصومه وإن لم يكن مخلصًا فيه ففيه احتمال، والعمل يكون للرياء والإخلاص يكون مخلصًا، وقد يكون مرائيًا، لزم أن يبين أنه مخلص في عمله ودعوته وأقوله.

ونقول: إن قوله: وقال إنني من المسلمين تدل على عزة المسلم، وأنه لا يستخفي بإسلامه وإيمانه؛ لأنه قد يتعرض لبعض المواقف من يدعو إلى الله ويعمل صالحًا، بعض الناس يدعو إلى الله على استحياء، ويعمل الصالح على استحياء، تجده يستخفي بأعماله، يستخفي بأقواله، كل هذا مدارة ومجارة للكفار إن كان بين أظهرهم، وللفساق إن كان موجودًا بينهم، والعزة لابد منها، لابد أن يقول: إنني من المسلمين، لابد أن يصرح بهذا، وأنه من أهل الاستقامة، وأنه من أهل الخير والفضل، وما تتطلبه هذه الاستقامة لابد أن يجهر به، ويصرح به، لا يستخفي بين الناس.

نعم قد يكون في ظرف وفي وقت يخاف على نفسه من أحد يتقي في مثل هذا وإلا فالأصل أنه معتز بدينه.

طالب:.....

ماذا؟

طالب: الخفاء معناه.....

هناك عمل خفي بين الإنسان وبين ربه وهناك عمل لابد من إظهاره، لابد من إظهاره، الدعوة ممكن تكون خفاءً؟

طالب:..... لا مهما فعل لا يخاف في الله لومة لائم.

مسألة الإخلاص لابد من الخفاء، لكن قوله: من المسلين يضاد فعل من يستخفي بدعوته أو يخجل منها، تجد بعض الطلاب الآن في المجالس العامة لا يصرح بوجود المنكر، وهذه دعوة، لماذا؟

استحياءً من الناس، لابد أن يكون جريئًا يواجه مثل هذه الأمور، كذلك الداعي، كذلك الذي يعمل الأعمال الصالحة، تجد بعض الناس ما وده أن يُرى في يوم من الأيام يقرأ قرآنًا، أو يصلي زيادة ركعتين وما أشبه ذلك إذا كان في مجتمع فساق؛ لأنهم يرمونه بالكلام، وينكتون عليه بالكلام، وكذا، فتجد يستخفي بشيء من هذا، نقول: لا، مهما فعل لا يخاف في الله لومة لائم.

" وَلَمْ يَقُلْ لَهُ: اشْتَرِطْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، كَانَ فِي ذَلِكَ رَدٌّ عَلَى مَنْ يَقُولُ: أَنَا مُسْلِمٌ، إِنْ شاء الله."

هذا إذا كان هذا الاستثناء سببه التردد في إيمانه أو في إسلامه فلابد من الجزم بالاعتقاد بدون تردد، فهذا يكون الكلام باطلًا، وإن كان مرد ذلك مرد التعليق على المشيئة التبرك بها فقط، ولا يكون مترددًا بإيمانه ولا بإسلامه، فهذا لا شيء فيه، كما أنه إذا قال: إن شاء الله متهمًا لنفسه وأنه يرجو أن يكون على مراد الله في إيمانه وإسلامه، فهذا لا مانع منه أيضًا.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: { وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ} قَالَ الْفَرَّاءُ:" لَا" صِلَةٌ أَيْ" وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ" وَأَنْشَدَ:

مَا كَانَ يَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ فِعْلَهُمُ وَالطَّيِّبَانِ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ

أَرَادَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، أَيْ لَا يَسْتَوِي مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ التَّوْحِيدِ، وَمَا الْمُشْرِكُونَ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْحَسَنَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَالسَّيِّئَةُ الشِّرْكُ، وَقِيلَ: الْحَسَنَةُ الطَّاعَةُ، وَالسَّيِّئَةُ الشِّرْكُ. وَهُوَ الْأَوَّلُ بِعَيْنِهِ وَقِيلَ: الْحَسَنَةُ الْمُدَارَاةُ، وَالسَّيِّئَةُ الْغِلْظَةُ، وَقِيلَ: الْحَسَنَةُ الْعَفْوُ، وَالسَّيِّئَةُ الِانْتِصَارُ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: الْحَسَنَةُ الْعِلْمُ، وَالسَّيِّئَةُ الْفُحْشُ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: الْحَسَنَةُ حُبُّ آلِ الرَّسُولِ، وَالسَّيِّئَةُ بُغْضُهُمْ".

هذه أمثلة للحسنة والسيئة، هذه أفراد مما تدل عليه الحسنة، وأفراد مما تدل عليه السيئة، وأيضًا حب الصحابة حسنة، وبغضهم سيئة، كما أن حب الآل الذين هم على الطريقة والجادة دين، وهم وصية النبي -عليه الصلاة والسلام-، وبغضهم نفاق، وحب الأنصار من الإيمان، وبغضهم علامة النفاق، وهكذا محبة أولياء الله من الإيمان والحب في الله من أوثق عرى الإيمان، والبغض فيه أيضًا من أوثق عرى الإيمان، ولا يختص بفئة معينة، بل يعم الجميع من كان وليًا له فهو محبوب بخلاف ضده.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {ادفع بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} نُسِخَتْ بِآيَةِ السَّيْفِ، وَبَقِيَ الْمُسْتَحَبُّ مِنْ ذَلِكَ: حُسْنُ الْعِشْرَةِ وَالِاحْتِمَالُ وَالْإِغْضَاءُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَيِ ادْفَعْ بِحِلْمِكَ جَهْلَ مَنْ يَجْهَلُ عَلَيْكَ، وَعَنْهُ أيضًا: هُوَ الرَّجُلُ يَسُبُّ الرَّجُلَ فَيَقُولُ الْآخَرُ: إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَغَفَرَ اللَّهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ".

مثل هذا قمة في عدم الانتصار للنفس، سبه ويقول: إن كنت صادقًا فغفر الله لي، يعني إن كان ما تقوله في صدق وحقيقة فأرجو الله -جل وعلا- أن يغفر لي، وإن كان ما تقوله كذب وبهتان وزور فغفر الله لك، وما يلقاها إلا الذين صبروا، هذا من أشق الأمور على النفوس.

" وَكَذَلِكَ يُرْوَى فِي الْأَثَرِ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ ذَلِكَ لِرَجُلٍ نَالَ مِنْهُ وَقَالَ مُجَاهِدٌ:" بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" يَعْنِي السَّلَامَ إِذَا لَقِيَ مَنْ يُعَادِيهِ، وَقَالَهُ عَطَاءٌ، وَقَوْلٌ ثَالِثٌ ذَكَرَهُ الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ فِي الْأَحْكَامِ، وَهُوَ الْمُصَافَحَةُ. وَفِي الْأَثَرِ:" تَصَافَحُوا يَذْهَبِ الْغِلُّ"، وَلَمْ يَرَ مَالِكٌ الْمُصَافَحَةَ، وَقَدِ اجْتَمَعَ مَعَ سُفْيَانَ فَتَكَلَّمَا فِيهَا فَقَالَ سُفْيَانُ: قَدْ صَافَحَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جعفر حِينَ قَدِمَ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ: ذَلِكَ خَاصٌّ. فَقَالَ لَهُ سُفْيَانُ: مَا خَصَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَخُصُّنَا، وَمَا عَمَّهُ يَعُمُّنَا، وَالْمُصَافَحَةُ ثَابِتَةٌ فَلَا وَجْهَ لِإِنْكَارِهَا. وَقَدْ رَوَى قَتَادَةُ قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: هَلْ كَانَتِ الْمُصَافَحَةُ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ قَالَ: نَعَمْ. وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ. وَفِي الْأَثَرِ: «مِنْ تَمَامِ الْمَحَبَّةِ الْأَخْذُ بِالْيَدِ»، وَمِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ وَهُوَ إِمَامٌ مُقَدَّمٌ".

نعم إمام مقدم في المغازي، وأما في الراوية فشأنه أقل، والقول الوسط في حقه أنه مقبول، حسن الحديث ،وليس بإمام في الراوية، وليس بمردود، إذا صرح بالتحديث؛ لأنه عرف بالتدليس.

" عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ الْمَدِينَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي بَيْتِي، فَقَرَعَ الْبَابَ فَقَامَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عُرْيَانًا يَجُرُّ ثَوْبَهُ-، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُهُ عُرْيَانًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ- فَاعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَهُ".

زيد بن حارثة مولاه، وهو حبه كما هو معلوم.

تخريج الأحاديث ماذا يقول؟

طالب: ...

الذي قبله.

طالب:.....

نعم صافح جعفر، جعفر نعم.

طالب: مضى تخريجه والحديث ضعيف.

صافح جعفر، حديث ضعيف؟

طالب: .....

الأول.

طالب: ابن إسحاق..

الذي قبله حينما قال: قد صافح رسول الله –صلي الله عليه وسلم – جعفر حينما قدم من أرض الحبشة، ما خرج؟

طالب: مضى تخريجه وهو ضعيف.

ضعيف يعني كل ما في الباب ضعيف؟

طالب: لا مضي تخريجه.....

جعفر، جعفر حينما قدم من أرض الحبشة.

طالب: قال: أخرجه الطحاوي من شرح.....

نعم.

طالب: .....

يعني مجموع هذه الأحاديث يدل على أن له أصلاً، وإن كان مجموع مفرداتها ضعيفة.

طالب:.....

يعني في الصحابة، أما المرفوع عن النبي –عليه الصلاة والسلام – المفردات التي ذكرت كلها فيها ما فيها، لكن بمجموعها يدل على أن لها أصلًا، وكون الأمر بين الصحابة دليل على أنه مأثور.

"**قُلْتُ: قَدْ رُوِيَ عَنْ مَالِكٍ جَوَازُ الْمُصَافَحَةِ، وَعَلَيْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ. وَقَدْ مَضَى ذَلِكَ فِي يُوسُفَ"، وَذَكَرْنَا هُنَاكَ حَدِيثُ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَأْخُذُ أَحَدُهُمَا بِيَدِ صَاحِبِهِ مَوَدَّةً بَيْنِهِمَا وَنَصِيحَةً إِلَّا أُلْقِيَتْ ذُنُوبُهُمَا بَيْنَهُمَا**»".

ماذا قال عنه؟

طالب: أخرجه الطبراني في الأوسط وابن عبد البر في .....

مثل سوابقه، مثل سوابقه.

" **قَوْلُهُ تَعَالَى: { فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} أَيْ قَرِيبٌ صَدِيقٌ. قَالَ مُقَاتِلٌ: نَزَلَتْ فِي أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، كَانَ مُؤْذِيًا لِلنَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَصَارَ لَهُ وَلِيًّا بَعْدَ أَنْ كَانَ عَدُوًّا بِالْمُصَاهَرَةِ الَّتِي وَقَعَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، ثُمَّ أَسْلَمَ فَصَارَ وَلِيًّا فِي الْإِسْلَامِ حَمِيمًا بِالْقَرَابَةِ. وَقِيلَ: هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّبْرِ عَلَيْهِ وَالصَّفْحِ عَنْهُ، ذَكَرَهُ الْمَاوَرْدِيُّ. وَالْأَوَّلُ ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ وَالْقُشَيْرِيُّ وَهُوَ أَظْهَرُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: { فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}**".

مما يدل على أن هذه العداوة انقلبت إلى صداقة ومودة، ولا يمكن أن يكون هذا في أبي جهل؛ لأنه ما أسلم، وهي ظاهرة في أبي سفيان، وهي عامة فيه وفي غيره مما هذه حاله من تغيرت حاله من العداوة إلى الصداقة.

طالب:.....

ماذا؟

طالب:.....المسلمين....الإسلام...أنه....

أبو يعلى الأول الموصلي.

طالب: أحمد بن علي المثني.

هاته.

طالب:... حدثنا همام ... عن قتادة قلت لأنس بن مالك: كانت المصافحة في عهد رسول الله- صلي الله عليه وسلم-؟ قال: نعم. قال قتادة: فكان الأصل المصافحة، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخان.

نعم، جيد.

"وَقِيلَ: كَانَ هَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَالْحِلْمِ عِنْدَ الْجَهْلِ، وَالْعَفْوِ عِنْدَ الْإِسَاءَةِ، فَإِذَا فَعَلَ النَّاسُ ذَلِكَ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَخَضَعَ لَهُمْ عَدُوُّهُمْ. وَرُوِيَ أن رجلاً شتم قنبرًا مولى علي ابن أَبِي طَالِبٍ، فَنَادَاهُ عَلِيٌّ يَا قَنْبَرُ دَعْ شَاتِمَكَ، وَالْهَ عَنْهُ تُرْضِي الرَّحْمَنَ وَتُسْخِطِ الشَّيْطَانَ، وَتُعَاقِبْ شَاتِمَكَ، فَمَا عُوقِبَ الْأَحْمَقُ بِمِثْلِ السُّكُوتِ عَنْهُ. وَأَنْشَدُوا:

وَلِلْكَفُّ عَنْ شَتْمِ اللَّئِيمِ تَكَرُّمًا ... أَضَرُّ لَهُ مِنْ شَتْمِهِ حِينَ يُشْتَمُ

وَقَالَ آخر:

وما شي أَحَبُّ إِلَى سَفِيهٍ إِذَا سَبَّ الْكَرِيمَ مِنَ الجواب
متاركة السفيه بلا جواب وأشد عَلَى السَّفِيهِ مِنَ السِّبَابِ

وَقَالَ مَحْمُودٌ الْوَرَّاقُ "

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب إن كَثُرَتْ مِنْهُ لَدَيَّ الْجَرَائِمُ
فَمَا النَّاسُ إِلَّا واحد من ثلاثة شريف ومشرف ومثل مقاوم
فَأَمَّا الَّذِي فَوْقِي فَأَعْرِفُ قَدْرَهُ وَأَتْبَعُ فِيهِ الْحَقَّ وَالْحَقُّ لَازِمُ
وَأَمَّا الَّذِي دُونِي فَإِنْ قَالَ صُنْتُ عَنْ إِجَابَتِهِ عِرْضِي وَإِنْ لَامَ لائم
وأما مِثْلِي فَإِنْ زَلَّ أَوْ هَفَا تَفَضَّلْتُ إِنَّ الْفَضْلَ بِالْحِلْمِ حَاكِمُ
{ وَما يُلَقَّاها} يَعْنِي هَذِهِ الْفَعْلَةَ الْكَرِيمَةَ وَالْخُصْلَةَ الشَّرِيفَةَ" إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا" بِكَظْمِ الْغَيْظِ وَاحْتِمَالِ الْأَذَى، { وَما يُلَقَّاها إِلَّا ذُو حَظٍّ }" أَيْ نَصِيبٍ وَافِرٍ مِنَ الْخَيْرِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَالَ

قَتَادَةُ وَمُجَاهِدٌ: الْحَظُّ الْعَظِيمُ الْجَنَّةُ، قَالَ الْحَسَنُ: وَاللَّهِ مَا عَظُمَ حَظٌّ قَطُّ دُونَ الْجَنَّةِ. وَقِيلَ الْكِنَايَةُ فِي" يُلَقَّاها" عَنِ الْجَنَّةِ أَيْ مَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ."

طالب: سلام عليكم.

نعم.

طالب: مسألة الرد على الشيخ...على إطلاقه للضرورة.

مثل عقاب الجاني الأصل العفو هذا الأصل، لكن في أفراد الناس من إذا عومل هذه المعاملة وزاد الشره مثل هذا لابد من قمعه والقضاء على شره وفساده.

طالب: حديث عائشة الذي انتصر.

انتصر.

طالب:...سكت فأنتصر.....

رضي هذه رخصة، لكن العزيمة أن يتحمل ويصبر.

" قَوْلُهُ تَعَالَى: { وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ} تَقَدَّمَ فِي آخِرِ" الأعراف" مستوفى." فاستعذ بالله" من كيد وَشَرِّهِ" إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ" لِاسْتِعَاذَتِكَ، " الْعَلِيمُ" بِأَفْعَالِكَ وأقوالك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: { وَمِنْ آياتِهِ"} عَلَامَاتُهُ الدَّالَّةُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ" اللَّيْلُ وَالنَّهارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ"، وَقَدْ مَضَى فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ ثُمَّ نَهَى عَنِ السُّجُودِ لَهُمَا؛ لِأَنَّهُمَا وَإِنْ كَانَا خَلْقَيْنِ فَلَيْسَ ذَلِكَ لِفَضِيلَةٍ لَهُمَا فِي أَنْفُسِهِمَا فَيَسْتَحِقَّانِ بِهَا الْعِبَادَةَ مع الله. لأن خالقهما هو الله لو شَاءَ لَأَعْدَمَهُمَا أَوْ طَمَسَ نُورَهُمَا."

قوله: { من آياته الليل والنهار} هذا يدل على أن الحلف والقسم بالآيات قسم بآيات الله يحتاج إلى استفصال، فإن كان يريد المقسم بآيات الله القرآن فالقرآن كلامه، وكلامه صفة من صفاته، يجوز القسم به، وإن كان يريد غير القرآن فقد أشرك، والحلف بغير الله شرك، ومن آياته الليل والنهار فلا يصرف لهم شيء، وكذلك الشمس والقمر والسماوات والأرض كلهم آيات من علاماته الدالة على قدرته لا يجوز القسم بشيء منها؛ لأنه مخلوقة.

"{وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ} وَصَوَّرَهُنَّ وَسَخَّرَهُنَّ، فَالْكِنَايَةُ تَرْجِعُ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَقِيلَ: لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ خَاصَّةً؛ لِأَنَّ الِاثْنَيْنِ جَمْعٌ. وَقِيلَ: الضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَى مَعْنَى الْآيَاتِ، { إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} وَإِنَّمَا أَنَّثَ عَلَى جَمْعِ التَّكْثِيرِ، وَلَمْ يَجْرِ عَلَى طَرِيقِ التَّغْلِيبِ لِلْمُذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ؛ لِأَنَّهُ فِيمَا لَا يَعْقِلُ { فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا"}، يَعْنِي الْكُفَّارَ عَنِ السُّجُودِ لِلَّهِ، " فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ" مِنَ الْمَلَائِكَةِ { يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ} أي لا يملون عبادته. قال زهير:

سميت تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ... ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أبالك يَسْأَمُ

مَسْأَلَةٌ: هَذِهِ الْآيَةُ آيَةُ سَجْدَةٍ بِلَا خِلَافٍ، وَاخْتَلَفُوا فِي مَوْضِعِ السُّجُودِ مِنْهَا. فَقَالَ مَالِكٌ: مَوْضِعُهُ {إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} ؛ لِأَنَّهُ مُتَّصِلٌ بِالْأَمْرِ. وَكَانَ عَلِيٌّ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَغَيْرُهُمْ يَسْجُدُونَ عِنْدَ قَوْلِهِ:" تَعْبُدُونَ". وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ وَالشَّافِعِيُّ: مَوْضِعُهُ" وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ"؛ لِأَنَّهُ تَمَامُ الْكَلَامِ وَغَايَةُ الْعِبَادَةِ وَالِامْتِثَالِ. وَبِهِ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ."

القول الأول: لأن تمام الآية التي فيها السجدة {إن كنتم إياه تعبدون}، والسجود عند قوله: {يسأمون}؛ لأنه تمام المعنى.

"وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَسْجُدُ عِنْدَ قَوْلِهِ: { يَسْأَمُونَ}، وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: اسْجُدُوا بِالْآخِرَةِ مِنْهُمَا. وَكَذَلِكَ يُرْوَى عَنْ مَسْرُوقٍ وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ وَأَبِي صَالِحٍ وَيَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ وَطَلْحَةَ وَزُبَيْدٍ الْيَامِيَّيْنِ وَالْحَسَنِ وَابْنِ سِيرِينَ. وَكَانَ أَبُو وَائِلٍ وَقَتَادَةُ وَبَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَسْجُدُونَ عِنْدَ قَوْلِهِ: { يَسْأَمُونَ}، قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: وَالْأَمْرُ قَرِيبٌ.

مَسْأَلَةٌ: ذَكَرَ ابْنُ خُوَيْزَ مَنْدَادَ: أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَضَمَّنَتْ صَلَاةَ كُسُوفِ الْقَمَرِ وَالشَّمْسِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَقُولُ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَكْسِفَانِ إِلَّا لِمَوْتِ عَظِيمٍ، فَصَلَّى النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صَلَاةَ الْكُسُوفِ.

قُلْتُ: صَلَاةُ الْكُسُوفِ ثَابِتَةٌ فِي الصِّحَاحِ؛ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَغَيْرِهِمَا، وَاخْتَلَفُوا فِي كَيْفِيَّتِهَا اخْتِلَافًا كَثِيرًا؛ لِاخْتِلَافِ الْآثَارِ، وَحَسْبُكَ مَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ الْعُمْدَةُ فِي الباب، والله الموفق للصواب."

إعمال طريقة أهل المغرب في تقديم صحيح مسلم على البخاري على طريقة أهل المغرب يقدمون صحيح مسلم على البخاري وإلا ففي البخاري صورة، وهو أنه –عليه الصلاة والسلام – صلى صلاة الكسوف ركعتين كل ركعة بركوعين، وفي صحيح مسلم الزيادة على ذلك بثلاث ركوعات

بأربع بخمسة وصلاة الكسوف تحصل مرة واحدة فيما قرره أهل التحقيق، فحكموا بما في صحيح مسلم بالوهم، وهنا يقول: فحسبك ما بصحيح مسلم، هذه طريقتهم في الرفع من قدر صحيح مسلم أكثر مما يرون في صحيح البخاري.

على كل حال هذا رأيهم، وعامة الأمة وجماهير العلماء على أن صحيح البخاري مقدم على مسلم.

طالب: ..... المالكية..

لا، ليس المالكية، بعض المغاربة.

طالب:.....

اختيار، لكن أقوى هذه الصور ما اتفق عليه.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: { وَمِنْ آياتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خاشِعَةً} الْخِطَابُ لِكُلِّ عَاقِلٍ أَيْ" وَمِنْ آياتِهِ" الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى " أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خاشِعَةً" أَيْ يَابِسَةً جَدْبَةً، هَذَا وَصْفُ الْأَرْضِ بِالْخُشُوعِ، قَالَ النَّابِغَةُ:

رَمَادٌ كَكُحْلِ الْعَيْنِ لَأْيًا أُبَيِّنُهُ ... نوى كَجِذْمِ الْحَوْضِ أَثْلَمُ خَاشِعُ

وَالْأَرْضُ الْخَاشِعَةُ، الْغَبْرَاءُ الَّتِي تُنْبِتُ. وَبَلْدَةٌ خَاشِعَةٌ: أَيْ مُغَبَّرَةٌ، لَا مَنْزِلَ بِهَا. وَمَكَانٌ خَاشِعٌ."

الغبراء التي ماذا عندكم؟

تنبت؟

طالب: تنبت.

نعم التي الأصل فيها أنها تنبت، لكنها لعدم الأمطار صارت غبراء، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت، فهي تنبت وليست سابخة.

"{فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ} أي بالنبات، قال مُجَاهِدٌ: يُقَالُ: اهْتَزَّ الْإِنْسَانُ أَيْ تَحَرَّكَ، وَمِنْهُ:

تَرَاهُ كَنَصْلِ السَّيْفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى ... إِذَا لَمْ تَجِدْ عِنْدَ امْرِئِ السَّوْءِ مَطْمَعَا

" وَرَبَتْ" أَيِ انتفخت وعلت قبل أن تنبت، قال مُجَاهِدٌ. أَيْ تَصَعَّدَتْ عَنِ النَّبَاتِ بَعْدَ مَوْتِهَا. وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ يَكُونُ فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، وَتَقْدِيرُهُ: رَبَتْ وَاهْتَزَّتْ. وَالِاهْتِزَازُ وَالرَّبْوُ قَدْ يَكُونَانِ قَبْلَ الْخُرُوجِ مِنَ الْأَرْضِ، وَقَدْ يَكُونَانِ بَعْدَ خُرُوجِ النَّبَاتِ إِلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَرُبُوُّهَا ارْتِفَاعُهَا وَيُقَالُ لِلْمَوْضِعِ الْمُرْتَفِعِ: رَبْوَةٌ وَرَابِيَةٌ".

اهتزت وربت يجوز أحدهما على الآخر؛ لأنهما متلازمان؛ لأنهما متلازمان مثل دنى فتدلى، يقول بعضهم: إنه من باب المقدم والمؤخر، الأصل تدلى فدنى، لكنهما متلازمان، وإذا كانا متلازمين جاز تقديم أحدهما على الآخر.

طالب: ربت فعل .....

كيف

طالب:.....

ما معنى ربت؟ يعني ارتفعت بالنبات.

طالب: في الأثر.....

اهتزت وربت قد يكون اهتز قبل، وقد يكون مصاحبًا، وقد يكون بعد. المقصود أنها تحرك النبات في جوها وعلى وجهها.

"فَالنَّبَاتُ يَتَحَرَّكُ لِلْبُرُوزِ ثُمَّ يَزْدَادُ فِي جِسْمِهِ بِالْكِبَرِ طُولًا وَعَرْضًا. وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ وَخَالِدٌ: "وَرَبَأَتْ" وَمَعْنَاهُ عَظُمَتْ، مِنَ الرَّبِيئَةِ. وَقِيلَ:" اهْتَزَّتْ" أَيِ اسْتَبْشَرَتْ بِالْمَطَرِ " وَرَبَتْ" أَيِ انْتَفَخَتْ بِالنَّبَاتِ وَالْأَرْضُ إِذَا انْشَقَّتْ بِالنَّبَاتِ: وُصِفَتْ بِالضَّحِكِ، فَيَجُوزُ وَصْفُهَا بِالِاسْتِبْشَارِ أيضًا، وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: الرَّبْوُ وَالِاهْتِزَازُ وَاحِدٌ، وَهِيَ حَالَةُ خُرُوجِ النَّبَاتِ. وَقَدْ مَضَى هَذَا الْمَعْنَى فِي" الْحَجِّ"، "إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لمحيي الموتى إنه على كل شي قدير"، تقدم في غير موضع."

الاستدلال بالمحسوس على المعقول بالحاضر على الغائب إن الذي أحياها بعد أن كان ميتة قادر على أن يحيي الموتى، هذا الشيء يدركه الناس كلهم، اهتزاز الأرض ونباتها وحياتها بعد موتها يدركه الناس كلهم، ومع ذلك الذي لا يدركه الناس من إحياء الأموات ينبغي أن يدركوه بعقولهم، ولو بالقياس على حياة الأرض، كما أشار الله -جل وعلا- في هذه الآية وفي غيرها في مواطن كثيرة.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: { إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا"} أَيْ يَمِيلُونَ عَنِ الْحَقِّ فِي أَدِلَّتِنَا، وَالْإِلْحَادُ: الْمَيْلُ وَالْعُدُولُ، وَمِنْهُ اللَّحْدُ فِي الْقَبْرِ؛ لِأَنَّهُ أُمِيلَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْهُ، يُقَالُ: أَلْحَدَ فِي دِينِ اللَّهِ أَيْ حَادَ عَنْهُ، وَعَدَلَ وَلَحَدَ لُغَةٌ فِيهِ، وَهَذَا يَرْجِعُ إِلَى الَّذِينَ قَالُوا: { لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ"}، وَهُمُ الَّذِينَ أَلْحَدُوا فِي آيَاتِهِ، وَمَالُوا عَنِ الْحَقِّ، فَقَالُوا: لَيْسَ الْقُرْآنُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، أَوْ هُوَ شِعْرٌ أَوْ سِحْرٌ، فَالْآيَاتُ آيَاتُ الْقُرْآنِ.

قَالَ مُجَاهِدٌ: { يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا} أَيْ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ بِالْمُكَاءِ وَالتَّصْدِيَةِ وَاللَّغْوِ وَالْغِنَاءِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ تَبْدِيلُ الْكَلَامِ، وَوَضْعُهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ."

سواء كان ذلك في لفظه أو في معناه.

طالب: سلام عليكم.

نعم.

طالب: قال مجاهد: يلحدون في آياتنا يكذبون في آياتنا أي عند تلاوته.....

قال مجاهد يلحدون في آياتنا..

طالب: يكذبون في آياتنا أي عند تلاوة.....بالمكاء والتصدية....

نعم، مزيد من بعض النسخ.

طالب:.....

يلحدون في آياتنا أي عند تلاوة القرآن بالمكاء والتصدية، أي يفعلون أفعالًا يَميلون ويُميلون غيرهم بها، يَميلون بها عن سماعها، ويُميلون غيرهم بها، فهم يصدون الناس عن سماع القرآن، هذا إلحاد.

" وَقَالَ قَتَادَةُ: { يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا}" يَكْذِبُونَ فِي آيَاتِنَا. وَقَالَ السُّدِّيُّ: يُعَانِدُونَ وَيُشَاقُّونَ. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: يُشْرِكُونَ وَيَكْذِبُونَ. وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ. وَقِيلَ: الْآيَاتُ الْمُعْجِزَاتُ، وَهُوَ يَرْجِعُ إِلَى الْأَوَّلِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ مُعْجِزٌ."

إلا أنه على القول الأول المراد بالآيات هي القرآن مطابقة، وإذا قلنا: الآيات يراد بها المعجزات صار فردًا من أفراد هذه المعجزات؛ لأنه معجز.

"{ أَفَمَنْ يُلْقى فِي النَّارِ} وَجْهِهِ وَهُوَ أَبُو جَهْلٍ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ { خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِيآمِناً يَوْمَ الْقِيامَةِ} قِيلَ: النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قاله مقاتل. وقيل: عمار بن يَاسِرٍ. وَقِيلَ: حَمْزَةُ، وَقِيلَ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَقِيلَ: أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِيُّ، وَقِيلَ: الْمُؤْمِنُونَ. وَقِيلَ: إِنَّهَا عَلَى الْعُمُومِ، فَالَّذِي يُلْقَى فِي النَّارِ الْكَافِرُ، وَالَّذِي يَأْتِي آمِنًا يوم القيامة المؤمن، قاله ابْنُ بَحْرٍ".

ومن ذكر داخل في القول الأخير إذا قلنا بالتعميم.

"{ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ"} أَمْرُ تَهْدِيدٍ، أَيْ بَعْدَ مَا عَلِمْتُمْ أَنَّهُمَا لَا يَسْتَوِيَانِ فَلَا بُدَّ لَكُمْ مِنَ الْجَزَاءِ".

وهذا أحد المعاني التي ترد في صيغة الأمر التهديد، {من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر}، هل هذا تخيير كما يذكره بعضهم الآن، وأن الإنسان مخير اختار الكفر أو اختار الإيمان، أو هذا تهديد والإيمان لا بد منه، <<أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله>>، لابد من الإيمان، أما أن يقول: أمرت الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، والله -جل وعلا- يقول: {من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر}، مراده هذا لا يمكن أن يكون هذا تناقض، بل قولهم: {من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر} كما هنا {اعملوا ما شئتم} هذا تهديد، لا بد من العمل الصالح المرضي لله -جل وعلا-، وترك ما لا يرضيه، فليس الإنسان في خيرة أن يعمل صالحًا، ويعمل شيئًا، لا، كما أنه ليس مختارًا أن يؤمن أو أن يكفر، بل عليه أن يؤمن وإلا فيقاتل إن لم يرضَ بجزية، وهو صاغر.

" إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" وَعِيدٌ بِتَهْدِيدٍ وَتَوَعُّدٌ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جاءَهُمْ} الذكر ها هنا الْقُرْآنُ فِي قَوْلِ الْجَمِيعِ؛ لِأَنَّ فِيهِ ذِكْرَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَحْكَامِ".

ومنه قول الجلاف: فاسألوا أهل الذكر، وإنه لذكر لك ولقومك، يعنى شرف لكم، فهذا القرآن، وهذا الذكر شرف لهذه الأمة.

"وَالْخَبَرُ مَحْذُوفٌ تقديره هالكون أو معذبون. وَقِيلَ: الْخَبَرُ {أُولئِكَ يُنادَوْنَ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ} [فصلت: ٤٤]، وَاعْتَرَضَ قَوْلُهُ: " مَا يُقالُ لَكَ"، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الذِّكْرِ فَقَالَ: {وَلَوْ جَعَلْناهُ قُرْآناً

أَعْجَمِيًّا}، ثم قال: {أُولئِكَ يُنادَوْنَ} [فصلت: ٤٤]، وَالْأَوَّلُ الِاخْتِيَارُ، قَالَ النَّحَّاسُ: عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ جَمِيعًا فِيمَا عَلِمْتُ.

" وَإِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ" أَيْ عَزِيزٌ عَلَى اللَّهِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعَنْهُ: عَزِيزٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. وَقِيلَ: كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ، وَقِيلَ:" عَزِيزٌ" أَيْ أَعَزَّهُ اللَّهُ فَلَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ بَاطِلٌ، وَقِيلَ: يَنْبَغِي أَنْ يُعَزَّ وَيُجَلَّ وَأَلَّا يُلْغَى فِيهِ. وَقِيلَ:" عَزِيزٌ" مِنَ الشَّيْطَانِ".

يكون فعيلًا بمعنى مفعول.

". وَقِيلَ:" عَزِيزٌ" مِنَ الشَّيْطَانِ" أَنْ يُبَدِّلَهُ".

يعني ممتنع عليه أن يبدله.

" قَالَهُ السُّدِّيُّ مُقَاتِلٌ: مُنِعَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَالْبَاطِلِ. السُّدِّيُّ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ فَلَا مِثْلَ لَهُ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أيضًا: "عَزِيزٌ" أَيْ مُمْتَنِعٌ عَنِ النَّاسِ أَنْ يَقُولُوا مِثْلَهُ، {لَا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ"} أي لا يكذبه شيء مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ، وَلَا يَنْزِلُ من بعده يبطله وينسخه، قال الْكَلْبِيُّ. وَقَالَ السُّدِّيُّ وَقَتَادَةُ:" لَا يَأْتِيهِ الْباطِلُ" يَعْنِي الشَّيْطَانَ" مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ، " لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُغَيِّرَ، وَلَا يَزِيدَ وَلَا يَنْقُصَ".

نعم؛ لأنه محفوظ، تولى الله حفظه، ولم يكل حفظه إلى الناس، {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}، بينما الكتب المتقدمة استحفظوا عليها، التوراة والإنجيل، استحفظوا عليها، فما حفظوها بل ضيعوها، وحرفوها.

القصة التي ذكرها البيهقي في الشعب أن يهوديًّا دعاه يحيى بن أكثم القاضي إلى الإسلام فلم يسلم فلم كان على رأس سنة من هذه الدعوة جاء مسلمًا فقال له: ما الذي دعاك إلى أن تؤخر الاستجابة، قال: خلال هذه السنة نسخت نسخًا من التوراة ونسخًا من الإنجيل ونسخًا من القرآن وحرفت، وزدت، وقدمت وأخرت شيئًا كثيرًا في التوراة والإنجيل، وعرضتها على اليهود والنصارى فتلقفوها مني، واعتمدوها، وعولوا عليها، ثم أدخلت شيئًا يسيرًا في القرآن، فعرضته على الوراقين، فمن رآه ونظر فيه رماه في وجهي فحرفت، إن هذا الدين الحق، وهو المحفوظ، وهو الباقي، قال يحيى بن أكثم: فحججت في هذه السنة فقلت ذلك لابن عيينة، قال: هذا في كتابنا، هذا في القرآن منصوص عليه، كتابنا تولى الله حفظه، {وإن له لحافظون}، وكتب مما استحفظوا فلم يحفظوا، ما تولى الله حفظها ليتم –والله المستعان –.

"وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: لَا يَأْتِيهِ التَّكْذِيبُ" مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ". وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ:" لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ" فِيمَا أَخْبَرَ عَمَّا مَضَى، وَلَا فِيمَا أَخْبَرَ عَمَّا يَكُونُ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:" مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ" مِنَ اللَّهِ تَعَالَى: " وَلا مِنْ خَلْفِهِ" يُرِيدُ مِنْ جِبْرِيلَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَلَا من محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-."

{تنزيل مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:" حَكِيمٍ" فِي خَلْقِهِ، " حَمِيدٍ" إِلَيْهِمْ. وَقَالَ قَتَادَةُ:" حَكِيمٍ" فِي أَمْرِهِ، " حَمِيدٍ" إِلَى خَلْقِهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَا يُقَالُ لَكَ} أَيْ مِنَ الْأَذَى وَالتَّكْذِيبِ {إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ}، يُعَزِّي نَبِيَّهُ وَيُسَلِّيهِ، {إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ} لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ، {وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ} يُرِيدُ لِأَعْدَائِكَ وَجِيعًا، وَقِيلَ أَيْ مَا يُقَالُ لَكَ مِنْ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ إِلَّا مَا قَدْ أُوحِيَ إِلَى مَنْ قَبْلِكَ، وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الشَّرَائِعِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بالتوحيد".

والاختلاف في الشرائع والأحكام، أما بالنسبة لأصل الدين فهو متفق بينهم، كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «نحن معاشر الأنبياء أولاد علات، ديننا واحد»، يعني الأصل واحد، والأمهات عدد، فالشرائع مختلفة، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا، بينما أصل الدين من الإيمان والتوحيد هذا متفق عليه بين هذه الشرائع.

وهو كقوله: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ" } لَمْ تَدْعُهُمْ إلا إلى مَا تَدْعُو إِلَيْهِ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ، فَلَا مَعْنَى لِإِنْكَارِهِمْ عَلَيْكَ. وَقِيلَ: هُوَ اسْتِفْهَامٌ أَيْ أَيُّ شيء يُقَالُ لَكَ" إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ". وَقِيلَ:" إِنَّ رَبَّكَ" كَلَامٌ مُبْتَدَأٌ، وَمَا قَبْلَهُ كَلَامٌ تَامٌّ إِذَا كَانَ الْخَبَرُ مُضْمَرًا. وَقِيلَ: هُوَ مُتَّصِلٌ بِ" مَا يُقَالُ لَكَ. {إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ} أي إنما أمرت.

قَوْلُهُ تَعَالَى: { وَلَوْ جَعَلْناهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًّا لَقالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آياتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ"}، فِيهِ ثَلَاثُ مَسَائِلَ: الْأُولَى:

قَوْلُهُ تَعَالَى: { وَلَوْ جَعَلْناهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًّا} أَيْ بِلُغَةِ غَيْرِ العرب" لَقالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آياتُهُ" أَيْ بُيِّنَتْ بِلُغَتِنَا، فَإِنَّنَا عَرَبٌ، لا نفهم الأعجمي، فبين أمخ أَنْزَلَهُ بِلِسَانِهِمْ؛ لِيَتَقَرَّرَ بِهِ مَعْنَى

الْإِعْجَازِ، إِذْ هُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِأَنْوَاعِ الْكَلَامِ نَظْمًا وَنَثْرًا، وَإِذَا عَجَزُوا عَنْ مُعَارَضَتِهِ كَانَ مِنْ أَدَلِّ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَوْ كَانَ بِلِسَانِ الْعَجَمِ لَقَالُوا: لَا عِلْمَ لَنَا بِهَذَا اللِّسَانِ.

الثَّانِيَةُ: وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا فَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ عَرَبِيٌّ، وَأَنَّهُ نَزَلَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ أَعْجَمِيًّا، وَأَنَّهُ إِذَا نُقِلَ عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا، لَمْ يَكُنْ قُرْآنًا."

نعم، القرآن نزل بلغة العرب، وهذا منصوص عليه في كتاب الله، والعلماء يتفقون على أنه لا يوجد فيه تراكيب أعجمية، جمل أعجمية، لا توجد في القرآن، كما أنه يتفقون على أنه فيه أعلام أعجمية، فيه أعلام أعجمية: إبراهيم مثلاً، إسماعيل، إسحاق، كلها أعلام أعجمية، هذا متفق عليه، ولذا تمنع من الصرف للعلمية والعجمة، يختلفون فيما عدا ذلك، الجمل ليست بالاتفاق، والأعلام موجودة بالاتفاق.

يختلفون في كلمات موجودة في القرآن، بعضهم قال: بلغة الحبشة، وبعضهم قال: بلغة الروم، وقال بعضهم: بلغة.. إلى آخره من اللغات، ألفاظ يسيرة. قال بعض أهل العلم: إنها بغير العربية، ومحققة عند أهل التحقيق أنها وإن كانت موجودة عند غير العرب إلا إن العرب نطقوا بها، فهي مما اتفقت عليه اللغات، ولو فرض أنها أعجمية، ولم ينطق بها العرب إلى إن جاءت في القرآن أو جاء بها القرآن فإن الألفاظ اليسيرة لا يخرج الكلام من كونه عربيًّا إلى كونه أعجميًّا، وأما القرآن إذا ترجمت معانيه فليس بقرآن، كما قال المؤلف، وأنه إذا نقل عنها إلى غيره لم يكن قرآنًا؛ لأن الترجمة الحرفية مستحيلة، الترجمة الحرفية مستحيلة، وإنما تترجم المعاني كالتفسير، وعلى هذا لا تترتب على الترجمة أحكام القرآن.

طالب: سلام عليكم إذا ترجم القرآن إلى اللغات المختلفة في البلاد العربية يبقى في المصحف كما هو..

يعني ترجم بحروفه إلى لغة أخرى مستحيل، معانيه.

طالب:.....الإنجليزية...

ترجمت معانيه.

طالب: الآن... القرآن يكتب نعم معانيه.

معانيه يكون مثل التفسير، حكمه حكم التفسير، وليس حكمه حكم القرآن، فيجوز أن يسافر به إلى بلاد الكفر، ويمسه المحدث وغيره، ما فيه إشكال إذا كانت المعاني ..

طالب:.....

ماذا؟

طالب:.....يطبعون..على ناصية المصحف..

الكلام فيما إذا أفرد، أما إذا وجد المصحف فحكمه حكم القرآن.

طالب:.....

ماذا؟

طالب:.....القرآن..

المقصود أنها ترجمة.

طالب: .....ترجمة....

هو الأصل الترجمة الحرفية مستحيلة، مستحيلة.

"الثالثة: قوله تعالى: {أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ}، وَقَرَأَ أَبُو بَكْرٍ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ: " أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ" بِهَمْزَتَيْنِ مُخَفَّفَتَيْنِ، وَالْعَجَمِيُّ الَّذِي لَيْسَ مِنَ الْعَرَبِ كَانَ فَصِيحًا أَوْ غَيْرَ فَصِيحٍ".

طالب:.....

ماذا؟

طالب:....قرأ بهمزتين مخففتين ..

همزتين مخففتين أأعجمي يعني بين، بين.

طالب: حمزة....

أين؟

طالب: قرأ أبو بكر وحمزة والكسائي بهمزتين مخففتين .....

إذن القراءة المعتمدة عنده التخفيف؛ لأنه يقول: وقرأ، ما يقول: قرأ؛ لأن القراءة المعتمدة عند المؤلف المفسر قراءة نافع بالتخفيف وقراءة غيره بالتحقيق، إذن قوله تعالى: **{أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ"}** يعني بالتخفيف، وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي: أأعجمي، بالتحقيق، فيكون عكس ما طبع.

على كل حال تراجع القراءات.

"وَالْأَعْجَمِيُّ الَّذِي لَا يُفْصِحُ كَانَ مِنَ الْعَرَبِ أَوْ مِنَ الْعَجَمِ، فَالْأَعْجَمُ ضِدُّ الْفَصِيحِ، وَهُوَ الَّذِي لَا يُبِينُ كَلَامَهُ. وَيُقَالُ لِلْحَيَوَانِ غَيْرِ النَّاطِقِ: أَعْجَمُ، وَمِنْهُ «صَلَاةُ النَّهَارِ عَجْمَاءُ» أَيْ لَا يجهر فيها بالقراءة، فَكَانَتِ النِّسْبَةُ إِلَى الْأَعْجَمِ آكَدَ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ الْعَجَمِيَّ الَّذِي لَيْسَ مِنَ الْعَرَبِ قَدْ يَكُونُ فَصِيحًا بِالْعَرَبِيَّةِ".

وهذا هو الواقع، كثير من المؤلفين في فروع العربية كلها من الأعاجم، من الأعاجم، إمامهم ومقدمهم سيبويه أعجم.

" وَالْعَرَبِيَّ قَدْ يَكُونُ غَيْرَ فَصِيحٍ، فَالنِّسْبَةُ إِلَى الْأَعْجَمِيِّ آكَدُ فِي الْبَيَانِ، وَالْمَعْنَى: أَقُرْآنٌ أَعْجَمِيٌّ، وَنَبِيٌّ عَرَبِيٌّ؟ وَهُوَ اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ وَأَبُو الْعَالِيَةِ وَنَصْرُ بْنُ عَاصِمٍ والمغيرة وهشام عن ابن عامر: " أَعْجَمِيٌّ"، بهمزة واحدة على الخبر. والمعنى: " لَوْلا فُصِّلَتْ آياتُهُ" فَكَانَ مِنْهَا عَرَبِيٌّ يَفْهَمُهُ الْعَرَبُ، وَأَعْجَمِيٌّ يَفْهَمُهُ الْعَجَمُ. وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ قَالَ.."

لأن الرسالة عامة لجميع الخلق؛ لعربهم، وعجمهم، وغيرهم من البربر وأجناس العرب، وأجناس الأمم، للجميع، فهذه الدعوى أنه لو جاء بلغات الجميع؛ لأنه للجميع، هذه دعوى، لكن هو نزل بلغة العرب، وعلى غيرهم أن يتعلموا لغة العرب لفهم ما أنزل الله إليهم فهم ما نزل الله إليهم، وهذا مع الأسف الشديد خلاف واقع المسلمين، نعم تجد العرب يتعلمون لغات الأعاجم، ويتركون لغتهم، ألفاظهم، لا يستطيع أن يركب جملة بلغته، ومع ذلك يستطيع أن يتحدث ويتكلم بطلاقة باللغات الأخرى، ولا شك أن هذا من باب إقتداء المغلوب بالغالب، فالأمة فيها ضعف، وهي مغلوبة على أمرها، والناس ينظرون إلى الغالب على أنه هو القدوة، وهو الأسوة، تجد حتى من ينتسب إلى طلاب العلم تجده يتكلم بالألفاظ غير العربية في أثناء كلامه، ولا شك أن هذا سبة

في حق المسلم، لاسيما ما ينتسب إلى العلم تجده في كثير من المجالات في مخاطبتهم، وختم كلامهم بغير العربية حتى التحية الشرعية قلبوها إلى غير العربية، -والله المستعان-.

طالب: كثير من العلوم مستوحاة من.....

علينا أن نعربها، إذا احتجنا إليها علينا أن نعربها، وهي ميزة الطب السوري، يعربون هذه المصطلحات، إنما غيرهم لا، كان الطب في إيران يُعلم باللغة الإنجليزية، ثم حُول إلى الفارسية، فتجد جميع الشعوب تعتز بلغتها، بينما المسلمون الذين لغتهم هي اللغة أشرف اللغات، وأعظم اللغات لا يستطيعون أن يجاروا الناس فيها، ولو أصروا لأذعنوا الناس لهم؛ لأن الناس بحاجة إلى هذه الأمة، بأيدينا مفاتيح الدنيا، الآن ونحن نتقرب إليهم، ونتوسل إليهم، و-الله والمستعان-، نعم.

طالب: الصين....

كل الأمم تعتز بلغتها، مع أنها لغات لا شيء.

طالب: لأنها نص القرآن.

نعم، ومع ذلك لغتنا أشرف اللغات، ومع ذلك نقتدي بالغالب، ونحاول بقدر الإمكان حتى الأمي إذا عرف كلمة فرح بها، ورددها في المجالس، نعم إذا تحدث مثلاً مع موظف الحجز في المطار وغيره بماذا تختم كلامك معه؟ ماذا يقولون؟ الحجز إذا كان مؤكدًا، إذا كان غير مؤكد، أوكيه، يعني مرة في سؤال على الهاتف، فيسألني واحد يوم انتهيت قالوا: أوكيه، في إذاعة القرآن، وما تركته، هذا شعور بنقص، هذا شعور بنقص ودعة وذلة، ما يفعل هذا إلا من يحس بنقص، ويشعر بنقص، ويقتدي بغالبه؛ لأنه مغلوب، -والله المستعان-.

وما قوله -جل وعلا-: {وأنا من المسلمين}- منا ببعيد يعني مر علينا قريبًا، ونحن المسلمون يجب أن نرفع رؤوسنا بالإسلام، والله أعزنا بهذا الدين.

طالب: بعض تجارة الأعمال المشروعة ما يدخل.....

نعم قد تكون الأمة بحاجة لفرع من الفروع، تحتاج إلى بعض الدعاة، قد يحتاج لتعلم لغة؛ لكي يوصل هذه الدعوة على هؤلاء، ما فيه ما يمنع، لكن تكون صبغة الأمة الغالبة هذا؟ لا، أبدًا ما يمكن.

طالب: ...بعض الأعمال .....

ما يضر، إذا قامت الحاجة ودعت الحاجة لذلك، مع سعينا الحثيث الجاد على المحافظة على لغتنا، وتحويل ما عداها إليها.

طالب:.....

على أقل الأحوال الكراهة الشديدة، ضعف، ضعف، ومهانة، واستكانة، ويمكن أن يكون من التشبه بهم.

طالب: بعض المصطلحات.....انتقلت إلينا من التداول، هل تعامل معاملة الألفاظ السابقة....؟

يعني معربة.

طالب: انتقلت في .....

ما فيه إشكال، يعني يسيرة، تجرى على الأوزان العربية، يعني جاءك مثلًا..

طالب:.....

هذه لابد من تعريبها.

طالب: لو تعربها .....

طالب:.....

لا، ما يلزم أن يكون بلفظه، ما يدل عليها، يعني هذا الأصل .

طالب:.....

لا يترك.

طالب:.....

لا، لا.

طالب: .....

يعني لغتنا الآن تعجز عن تعريب هذه الألفاظ إطلاقًا، لغتنا أمرن اللغات.

" وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ قَالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ: لَوْلَا أُنْزِلَ الْقُرْآنَ أَعْجَمِيًّا وَعَرَبِيًّا، فَيَكُونُ بَعْضُ آيَاتِهِ عَجَمِيًّا وَبَعْضُ آيَاتِهِ عَرَبِيًّا، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ. وَأُنْزِلَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ لُغَةٍ، فَمِنْهُ: " السِّجِّيلُ"، وَهِيَ فَارِسِيَّةٌ، وَأَصْلُهَا سِنْكُ كِيلَ، أَيْ طِينٌ وَحَجَرٌ، وَمِنْهُ" الْفِرْدَوْسُ" رُومِيَّةٌ، وَكَذَلِكَ" الْقِسْطَاسُ".

وَقَرَأَ أَهْلُ الْحِجَازِ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ ذَكْوَانَ وَحَفْصٌ عَلَى الِاسْتِفْهَامِ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَيَّنُوا الْهَمْزَةَ عَلَى أُصُولِهِمْ. وَالْقِرَاءَةُ الصَّحِيحَةُ قِرَاءَةُ الِاسْتِفْهَامِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: { قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفاءٌ} أَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّ الْقُرْآنَ هُدًى وَشِفَاءٌ لِكُلِّ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ وَالْأَوْجَاعِ، { وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذانِهِمْ وَقْرٌ} أَيْ صَمَمٌ عَنْ سَمَاعِ الْقُرْآنِ. وَلِهَذَا تَوَاصَوْا بِاللَّغْوِ فِيهِ.

وَنَظِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَساراً} [الإسراء: ٨٢]، وَقَدْ مَضَى مُسْتَوْفًى، وَقِرَاءَةُ الْعَامَّةِ: " عَمًى" عَلَى الْمَصْدَرِ، وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَمُعَاوِيَةُ وَسُلَيْمَانُ بْنُ قَتَّةَ: " وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمٍ"، بِكَسْرِ الْمِيمِ، أَيْ لَا يَتَبَيَّنُ لَهُمْ. وَاخْتَارَ أَبُو عُبَيْدٍ الْقِرَاءَةَ الْأُولَى، لِإِجْمَاعِ النَّاسِ فِيهَا، وَلِقَوْلِهِ أَوَّلًا:" هُدىً وَشِفاءٌ" وَلَوْ كَانَ هَادٍ وَشَافٍ لَكَانَ الْكَسْرُ فِي" عَمًى" أَجْوَدَ؛ لِيَكُونَ نَعْتًا مِثْلَهُمَا، تَقْدِيرُهُ:" وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ" فِي تَرْكِ قَبُولِهِ بِمَنْزِلَةِ مَنْ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ" يَعْنِي الْقُرْآنَ، "عَلَيْهِمْ" ذُو عَمًى؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَفْقَهُونَ، فَحُذِفَ المضاف، وقيل المعل وَالْوَقْرُ عَلَيْهِمْ عَمًى.

{ أُولئِكَ يُنادَوْنَ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ} يُقَالُ ذَلِكَ لِمَنْ لَا يَفْهَمُ مِنَ التَّمْثِيلِ. وَحَكَى أَهْلُ اللُّغَةِ أَنَّهُ يُقَالُ لِلَّذِي يَفْهَمُ: أَنْتَ تَسْمَعُ مِنْ قَرِيبٍ. وَيُقَالُ لِلَّذِي لَا يَفْهَمُ: أَنْتَ تُنَادَى مِنْ بَعِيدٍ".

يعني فأنت مشبه لمن يسمع من قريب إذا كان يفهم؛ لأنه يتبين الكلام بسهولة، ويفهمه بسرعة، بخلاف البعيد، قد تفوته بعض الحروف وبعض الكلمات، مما يكون سببًا لخفاء معناه عليه، فالذي لا يفهم كأنه يفهم من بعيد، والذي يفهم بسرعة كأنه يسمع من قريب.

طالب:.....

ماذا؟

طالب: الاستشفاء بالقرآن.

أبو سعيد قرأ الفاتحة على سيد القوم وهو غير مسلم.

طالب:.....الأصل هذا الأصل فيه.

"أَيْ كَأَنَّهُ يُنَادَى مِنْ مَوْضِعٍ بَعِيدٍ مِنْهُ فَهُوَ لا يسمع النداء، ولا يَفْهَمُهُ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ:" يُنادَوْنَ" يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِمْ، " مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ" فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ لِتَوْبِيخِهِمْ وَفَضِيحَتِهِمْ، وَقِيلَ: أَيْ مَنْ لَمْ يَتَدَبَّرِ الْقُرْآنَ صَارَ كَالْأَعْمَى الْأَصَمِّ، فَهُوَ يُنَادَى مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ فَيَنْقَطِعُ صَوْتُ الْمُنَادِي عَنْهُ، وَهُوَ لَمْ يَسْمَعْ.

وَقَالَ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وَمُجَاهِدٌ: أَيْ بَعِيدٌ مِنْ قُلُوبِهِمْ. وَفِي التَّفْسِيرِ: كَأَنَّمَا يُنَادَوْنَ مِنَ السَّمَاءِ، فَلَا يَسْمَعُونَ، وحكى معناه النقاش.

بقى على ختم المجلد الخامس عشر والسورة ثلاث ورقات، فإن رأيتم أن نتمها أو نؤجلها إلى الدرس القادم، ونقرأ على ما وعدنا بالموافقات، وإن بقي وقت بعد إكمال هذه نقرأ في الموافقات، ما ترونه، الأمر إليكم، بقي شيء يسير، يعني يحتاج إلى ربع ساعة فقط على إكمال السورة وإكمال المجلد، فإن رأيتم أن نقف ونقرأ في الموافقات في الدرس الثاني اليوم، أو نكمل هذه السورة ونكمل المجلد، لاسيما وأننا ما قرأنا شيئًا في يوم الجمعة السابقة من التفسير، فيكون قضاءً لما مضى.

طالب:.....

يعني ودك أن تطلع يا أبا عبد الله؟

طالب: .....من الإنصاف لو تشاورنا..

يعني لو قرأنا التفسير تطلع.

طالب: لا، لكن من باب الإنصاف يستشارون....

جزاك الله خيرًا، ماذا يقول الإخوان؟ نكمل الورقات الثلاث؟

طالب: نكمل.

ماذا؟ أصحاب الموافقات هم الذي تطلب موافقتهم ماذا يقول الإخوان.

طالب: موافقون إن شاء الله.

طالب:.....

خلاص السكوت علامة الرضا.

طالب:.....

خلاص السكوت علامة الرضا.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: { وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ" يَعْنِي التَّوْرَاةَ" فَاخْتُلِفَ فِيهِ} أَيْ آمَنَ بِهِ قَوْمٌ، وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمٌ، وَالْكِنَايَةُ تَرْجِعُ إِلَى الكتاب، وتسلية لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أَيْ لَا يَحْزُنْكَ اخْتِلَافُ قَوْمِكَ فِي كِتَابِكَ، فَقَدِ اخْتَلَفَ مَنْ قَبْلَهُمْ فِي كِتَابِهِمْ، وَقِيلَ: الْكِنَايَةُ تَرْجِعُ إلى موسى.

{ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ"} أَيْ فِي إِمْهَالِهِمْ " لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ" أَيْ بِتَعْجِيلِ الْعَذَابِ، " وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ" مِنَ الْقُرْآنِ، " مُرِيبٍ" أَيْ شَدِيدِ الرِّيبَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ أَخَّرَ عَذَابَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ كَمَا فُعِلَ بِغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ. وَقِيلَ: تَأْخِيرُ الْعَذَابِ لما يخرج من أصلابهم من المؤمنين."

يعني كما عرض على كل أمة في عهده -عليه الصلاة والسلام- فقال: «لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله».

"قوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ} شَرْطٌ وَجَوَابُهُ، " وَمَنْ أَساءَ فَعَلَيْها"."

يعني شرط وجوابه أيضًا من عمل صالحًا فلنفسه، هذا شرط، وجوابه ومن أساء فعليها، شرط وجواب، والجواب هو المقترن بالفاء.

" وَاللَّهُ -جَلَّ وَعَزَّ- مُسْتَغْنٍ عَنْ طَاعَةِ الْعِبَادِ، فَمَنْ أَطَاعَ فَالثَّوَابُ لَهُ، وَمَنْ أَسَاءَ فَالْعِقَابُ عَلَيْهِ. {وَما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} نَفَى الظُّلْمَ عَنْ نَفْسِهِ -جَلَّ وَعَزَّ- قَلِيلَهُ وَكَثِيرَهُ، وَإِذَا انْتَفَتِ الْمُبَالَغَةُ انْتَفَى غَيْرُهَا".

نعم، {وما ربك بظلام للعبيد} المنفي هنا المبالغة المنفي هنا صيغة المبالغة، فهل يلزم من نفي صيغة المبالغة نفي غيرها من أفرادها، أو لا؟

طالب:.....

نعم

طالب:....

لا، العكس، {وما الله يريد ظلمًا للعباد} هذا أبلغ ما في الباب، يعني نفي الإرادة أبلغ شيء، ثم تحريم الظلم، ثم نفي الظلم بأفراده وصوره، ثم نفي المبالغة فيه، فهل نقول: إن هنا نفي المبالغة يقتضي نفي الأفراد؟ يعني كما قيل في حديث: «لعن الله زوّرات القبور» قال بعضهم: إن الزيارة مرة أو مرتين لا تقتضي المبالغة، ولا تدخل في اللعن؛ يعني قوله: {وما ربك بظلام للعبيد} هل ينفي ألا يكون ظالمًا؟ ما ينفي فصل الصيغة، لكن جاءت أدلة أخرى ونصوص أحرى تدل عليه، نعم.

" دَلِيلُهُ قَوْلُهُ الْحَقُّ: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً} [يونس: ٤٤]، وروى العدول الثقات".

نعم، شيئًا نكرة في سياق الامتنان عليه، فهي تعم كل شيء، كل أفراد الظلم الصغير والكبير الذي لا يلتفت إليه، ولا يؤبه له منفي أيضًا.

"وروى العدول الثقات وَالْأَئِمَّةُ الْأَثْبَاتُ، عَنِ الزَّاهِدِ الْعَدْلِ، عَنْ أَمِينِ الْأَرْضِ، عَنْ أَمِينِ السَّمَاءِ، عَنِ الرَّبِّ- جَلَّ جَلَالُهُ-".

الزاهد العدل أبو ذر الغفاري، عن أمين الأرض النبي -عليه الصلاة والسلام-، عن أمين السماء جبريل -عليه السلام-، عن الرب -جل جلاله- في الحديث القدسي: «يا عبادي....» إلى آخره.

"« يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا» الْحَدِيثَ، وَأيضًا فَهُوَ الْحَكِيمُ الْمَالِكُ، وَمَا يَفْعَلُهُ الْمَالِكُ فِي مُلْكِهِ لَا اعْتِرَاضَ عَلَيْهِ؛ إِذْ لَهُ التصرف في ملكه بما يريد."

يعني من فضله -جل وعلا- وكرمه وجوده إن حرم الظلم على نفسه وإلا فالملك ملكه، والخلق خلقه، يتصرف فيه كيفما شاء.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ} أَيْ حِينُ وَقْتِهَا. وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا فَخَبِّرْنَا مَتَى قِيَامُ السَّاعَةِ، فَنَزَلَتْ: {وما تَخْرُجُ مِنْ ثَمَراتٍ} مِنْ" زَائِدَةٌ أَيْ وَمَا تَخْرُجُ ثَمَرَةٌ." مِنْ أَكْمامِها" أَيْ مِنْ أَوْعِيَتِهَا، فَالْأَكْمَامُ أَوْعِيَةُ الثَّمَرَةِ، وَاحِدُهَا كُمَّةٌ، وَهِيَ كُلُّ ظَرْفٍ لِمَالٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ قِشْرُ الطَّلْعِ أَعْنِي كُفُرَّاهُ الَّذِي يَنْشَقُّ عَنِ الثَّمَرَةِ كُمَّةً، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْكُمَّةُ الْكُفُرَّى قَبْلَ أَنْ تَنْشَقَّ".

العامة يسمونه كافورًا، كافورًا، وهو وعاء الطلع.

"فَإِذَا انْشَقَّتْ فَلَيْسَتْ بِكُمَّةٍ. وَسَيَأْتِي لِهَذَا مَزِيدُ بَيَانٍ فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ، وَقَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ وَحَفْصٌ: " مِنْ ثَمَراتٍ" عَلَى الْجَمْعِ، الْبَاقُونَ: " ثَمَرَةٍ" عَلَى التَّوْحِيدِ، وَالْمُرَادُ الْجَمْعُ؛ لِقَوْلِهِ: { وَما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثى }، وَالْمُرَادُ الْجَمْعُ، يَقُولُ:" إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ" كَمَا يُرَدُّ إِلَيْهِ عِلْمُ الثِّمَارِ وَالنِّتَاجِ، {وَيَوْمَ يُنادِيهِمْ} أَيْ يُنَادِي اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ {أَيْنَ شُرَكائِي} الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فِي الدُّنْيَا أَنَّهَا آلِهَةٌ تَشْفَعُ. " قالُوا" يَعْنِي الْأَصْنَامَ. وَقِيلَ: الْمُشْرِكُونَ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَهُمْ جَمِيعًا الْعَابِدَ وَالْمَعْبُودَ" آذَنَّاكَ" أَسْمَعْنَاكَ وَأَعْلَمْنَاكَ. يُقَالُ: آذَنَ يؤذن: إذا أعلم، قال:

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ ... رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثواء

{مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ} أَيْ نُعْلِمُكَ مَا مِنَّا أَحَدٌ يَشْهَدُ بِأَنَّ لَكَ شَرِيكًا. لَمَّا عَايَنُوا الْقِيَامَةَ تَبَرَّءُوا مِنَ الْأَصْنَامِ، وَتَبَرَّأَتِ الْأَصْنَامُ مِنْهُمْ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ.

{وَضَلَّ عَنْهُمْ} أَيْ بَطَلَ عَنْهُمْ، {مَا كانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ} فِي الدُّنْيَا" وَظَنُّوا" أَيْ أَيْقَنُوا وَعَلِمُوا، {مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ} أَيْ فِرَارٍ عَنِ النَّارِ. وَ"مَا"، هُنَا حَرْفٌ، وَلَيْسَ بِاسْمٍ، فَلِذَلِكَ لَمْ يَعْمَلْ فِيهِ الظَّنُّ، وَجَعَلَ الفعل ملغى، تقديره: وظنوا أنهم مالهم مَحِيصٌ وَلَا مَهْرَبٌ، يُقَالُ: حَاصَ يَحِيصُ. حَيْصًا وَمَحِيصًا إِذَا هَرَبَ، وَقِيلَ: إِنَّ الظَّنَّ هُنَا الَّذِي هُوَ أَغْلَبُ الرَّأْيِ، لَا يَشُكُّونَ فِي أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ، وَلَكِنْ يَطْمَعُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا. وَلَيْسَ يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ ظَنٌّ، ورجاء إلى أن ييأسوا".

يعني في أول الأمر لديهم طمع ثم بعد ذلك ييأسون من هذا لطمع، فينقلب ظنهم إلى يقين.

"قَوْلِهِ تَعَالَى: { لَا يَسْأَمُ الْإِنْسانُ مِنْ دُعاءِ الْخَيْرِ} أَيْ لَا يَمَلُّ مِنْ دُعَائِهِ بِالْخَيْرِ. وَالْخَيْرُ هُنَا الْمَالُ والصحة والسلطان والعز، قال السدى: والإنسان ها هنا يُرَادُ بِهِ الْكَافِرُ. وَقِيلَ: الْوَلِيدُ بْنُ

الْمُغِيرَةِ. وَقِيلَ: عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ" لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْمَالِ { وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ}" لا لفقر والمرض".

يعني جاء تفسير الخير بالمال، إن ترك خير الوصية يعني مالاً جاء تفسيرها في بعض النصوص تفسير الخير بالمال، وهنا منه فُسر به.

" فَيَؤُسٌ" مِنْ رَوْحِ اللَّهِ" قَنُوطٌ" مِنْ رَحْمَتِهِ، وَقِيلَ:" يَئُوسٌ" مِنْ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ، " قُنُوطٌ" بِسُوءِ الظَّنِّ بِرَبِّهِ. وَقِيلَ:" يَئُوسٌ" أَيْ يَئِسَ مِنْ زَوَالِ مَا بِهِ مِنَ الْمَكْرُوهِ، " قَنُوطٌ" أَيْ يَظُنُّ أنه يدوم، والمعنى متقارب.
قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَئِنْ أَذَقْناهُ رَحْمَةً مِنَّا}" عَافِيَةً وَرَخَاءً وَغِنًى" مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ" ضُرٍّ وَسَقَمٍ وَشِدَّةٍ وَفَقْرٍ. " لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي" أَيْ هذا شيء أَسْتَحِقُّهُ عَلَى اللَّهِ لِرِضَاهُ بِعَمَلِي، فَيَرَى النِّعْمَةَ حتمًا واجب عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ ابْتَلَاهُ بِالنِّعْمَةِ وَالْمِحْنَةِ".

يعني مثل ما قال قارون مثل {إنما أوتيته على علم عندي} مثل ما يدعيه كثير من أوتي شيء من القوة في المال أو البدن أو الجاه يظن أن هذا من عنده أو بسبب ما اصطفاه الله به من قوة ومن ذكاء وحنكة، كل هذا لا يجدي شيئًا، ولذا من رحمة الله -جل وعلا- إن أكثر الناس أمولاً أوسط الناس في ذكاءهم، ليسوا بغاية في الذكاء، ولا دون أوساط الناس، هم الذين تجدهم في المجتمعات، هم أهل الثراء؛ لأن من زاد ذكاؤه زاد حذره من العواقب، صار لا يقدم على كل ما يعرض عليه، يخشى من الخسارة، تفوته الفرص؛ بسبب هذه الخشية، وأما من كان دون ذلك فإنه يقدم، ويحصل له من الفرص ما يحصل، والواقع شاهد بذلك، وإن كان هذا هو الغالب، هذا هو الغالب.

" لِيَتَبَيَّنَ شُكْرَهُ وَصَبْرَهُ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:" هَذَا لِي" أَيْ هَذَا مِنْ عِنْدِي،{ وَما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنى } أَيِ الْجَنَّةُ، وَاللَّامُ لِلتَّأْكِيدِ. يَتَمَنَّى الْأَمَانِيَّ بِلَا عَمَلٍ. قَالَ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: لِلْكَافِرِ أُمْنِيَّتَانِ، أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَيَقُولُ: { لَئِنْ رُجِعْتُ إِلى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنى }، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَيَقُولُ: { يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّناوَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنعام: ٢٧]، و{يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً} [النبأ: ٤]، {فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِما عَمِلُوا} أَيْ لَنَجْزِيَنَّهُمْ. قَسَمٌ أَقْسَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ { وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذابٍ غَلِيظٍ} شَدِيدٍ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذا أَنْعَمْنا عَلَى الْإِنْسانِ"} يُرِيدُ الْكَافِرَ" أَعْرَضَ وَنَأى بِجانِبِهِ"، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ، أَعْرَضُوا عَنِ الْإِسْلَامِ، وَتَبَاعَدُوا عَنْهُ. وَمَعْنَى" نَأى بِجانِبِهِ" أَيْ تَرَفَّعَ عَنِ الِانْقِيَادِ إِلَى الْحَقِّ، وَتَكَبَّرَ عَلَى أنبياء الله. وقيل:" نأى"

تباعد. يقال: نائتة وَنَأَيْتُ عَنْهُ نَأْيًا بِمَعْنَى تَبَاعَدْتُ عَنْهُ، وَأَنْأَيْتُهُ فَانْتَأَى أَبْعَدْتُهُ فَبَعُدَ، وَتَنَاءَوْا تَبَاعَدُوا، الْمُنْتَأَ الْمَوْضِعُ الْبَعِيدُ، قَالَ النَّابِغَةُ:

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي إن خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ"

هذا الإعراض إن كان إعراضًا بالكلية فلا شك أنها في الكافر، وإن كان يطلق على الإعراض الجزئي فقد يحصل لبعض المسلمين أنه إذا أنعم الله عليه أعرض كما هو واقع كثير من المسلمين الذين انشغلوا في تجارتهم بعد أن أنعم الله عليهم بزيادتها، تجدهم أعرضوا إعراضًا جزئيًّا، ولا يكون إعراضًا كليًّا إلا بالنسبة للكافر، نعم وكم من طالب علم أعرض وانصرف عن التعلم وعن العلم وعن مجالسة أهلها وطلابه؛ لأنه أنعم الله عليهم بشيء من المال، ثم انصرف عن هذا العلم وإن لم ينصرف عن الدين بالكلية.

"وَقَرَأَ يَزِيدُ بْنُ الْقَعْقَاعِ وَ" نَاءَ بِجَانِبِهِ" بِالْأَلِفِ قَبْلَ الْهَمْزَةِ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ" نَاءَ" إِذَا نَهَضَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى قَلْبِ الْهَمْزَةِ بِمَعْنَى الْأَوَّلِ.

{ وَإِذا مَسَّهُ الشَّرُّ} أَيْ أَصَابَهُ المكروه" فَذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ" كَثِيرٍ، وَالْعَرَبُ تَسْتَعْمِلُ الطُّولَ وَالْعَرْضَ فِي الْكَثْرَةِ، يُقَالُ: أَطَالَ فُلَانٌ فِي الْكَلَامِ، وَأَعْرَضَ فِي الدُّعَاءِ إِذَا أَكْثَرَ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:" فَذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ" فَذُو تَضَرُّعٍ وَاسْتِغَاثَةٍ. وَالْكَافِرُ يَعْرِفُ رَبَّهُ فِي الْبَلَاءِ وَلَا يَعْرِفُهُ فِي الرَّخَاءِ."

نعم، إذا أصيبوا ببلاء وشدة، ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين، فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون، الشيخ محمد -رحمه الله- الشيخ الإمام المجدد في قواعده الأربع يقول في القاعدة، يقول: إن مشركي زماننا، إن مشركي زماننا أعظم شركًا من الأولين؛ لأن مشركي زماننا شركهم دائم في الرخاء والشدة، وأما المشركون الأولون يشركون في الرخاء، ويخلصون في الشدة، نعم.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ" أَيْ قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ} أَرَأَيْتُمْ" يَا مَعْشَرَ الْمُشْرِكِينَ." إِنْ كانَ" هَذَا الْقُرْآنُ" مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ" أَيْ فَأَيُّ النَّاسِ أَضَلُّ، أَيْ لَا أَحَدَ أَضَلُّ مِنْكُمْ لِفَرْطِ شِقَاقِكُمْ وَعَدَاوَتِكُمْ. وَقِيلَ: قَوْلُهُ: { إِنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} يَرْجِعُ إِلَى الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ: { آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ"} [البقرة: ٥٣]، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ.

قَوْلُهُ تعالى: { سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ"} أَيْ عَلَامَاتِ وَحْدَانِيَّتِنَا وَقُدْرَتِنَا" فِي الْآفاقِ" يَعْنِي خَرَابَ مَنَازِلِ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ، " وَفِي أَنْفُسِهِمْ" بِالْبَلَايَا وَالْأَمْرَاضِ. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ:" فِي الْآفاقِ { آياتُ السَّمَاءِ}، وَفِي أَنْفُسِهِمْ" حَوَادِثُ الْأَرْضِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ:" فِي الْآفاقِ" فَتْحُ الْقُرَى، فَيَسَّرَ اللَّهُ- عَزَّ وَجَلَّ- لِرَسُولِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلِلْخُلَفَاءِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْصَارِ دِينِهِ فِي آفَاقِ الدُّنْيَا وَبِلَادِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ عُمُومًا، وَفِي نَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ خُصُوصًا مِنَ الْفُتُوحِ الَّتِي لَمْ يَتَيَسَّرْ أَمْثَالُهَا لِأَحَدٍ مِنْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ قَبْلَهُمْ، وَمِنَ الْإِظْهَارِ عَلَى الْجَبَابِرَةِ وَالْأَكَاسِرَةِ وَتَغْلِيبِ قَلِيلِهِمْ عَلَى كَثِيرِهِمْ، وَتَسْلِيطِ ضُعَفَائِهِمْ عَلَى أَقْوِيَائِهِمْ، وَإِجْرَائِهِ عَلَى أَيْدِيهِمْ أُمُورًا خَارِجَةً عَنِ الْمَعْهُودِ خَارِقَةً لِلْعَادَاتِ" وَفِي أَنْفُسِهِمْ".

تجد الجيش من المسلين قليل العدد، قليل العدة، يتصدى للجموع الغفيرة من الكفار في عددهم وعُددهم، ثم بعد ذلك يكون النصر والظفر للمسلمين، كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة.

"وَفِي أَنْفُسِهِمْ فتح مكة. وهذا اختيار الطبري. وقال الْمِنْهَالُ بْنُ عَمْرٍو وَالسُّدِّيُّ. وَقَالَ قَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ:" فِي الْآفاقِ" وَقَائِعُ اللَّهِ فِي الْأُمَمِ، " وَفِي أَنْفُسِهِمْ" يَوْمُ بَدْرٍ. وَقَالَ عَطَاءٌ وَابْنُ زَيْدٍ أيضًا: " فِي الْآفاقِ" يعني أقطار السموات وَالْأَرْضِ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالرِّيَاحِ وَالْأَمْطَارِ وَالرَّعْدِ وَالْبَرْقِ وَالصَّوَاعِقِ وَالنَّبَاتِ وَالْأَشْجَارِ وَالْجِبَالِ وَالْبِحَارِ وَغَيْرِهَا. وَفِي الصِّحَاحِ: الْآفَاقُ النَّوَاحِي، وَاحِدُهَا أُفْقٌ، وَأُفُقٌ، مِثْلَ عُسْرٍ، وَعُسُرٍ، وَرَجُلٌ أَفَقِيٌّ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ، وَالْفَاءِ: إِذَا كَانَ مِنْ آفَاقِ الْأَرْضِ. حَكَاهُ أَبُو نَصْرٍ. وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: أُفُقِيٌّ، بِضَمِّهَا، وَهُوَ الْقِيَاسُ."

نسبة إلى الأفق، واحد الآفاق، وبعضهم يقول: أفاقي بالجمع، والنسبة إلى الجمع عند أهل العلم إذا أمكنة النسبة إلى المفرد شاسع إن صح أفقي.

طالب:.....الأفاق ..

نعم، غلط الشاهد أفقي.

" وَأَنْشَدَ غَيْرُ الْجَوْهَرِيِّ:

أَخَذْنَا بِآفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمُ ... لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ

{ وَفِي أَنْفُسِهِمْ} مِنْ لَطِيفِ الصَّنْعَةِ وَبَدِيعِ الْحِكْمَةِ حَتَّى سَبِيلِ الْغَائِطِ وَالْبَوْلِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ يَشْرَبُ وَيَأْكُلُ مِنْ مَكَانٍ وَاحِدٍ وَيَتَمَيَّزُ ذَلِكَ مِنْ مَكَانَيْنِ، وَبَدِيعِ صَنْعَةِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ فِي عَيْنَيْهِ اللَّتَيْنِ هُمَا

قَطْرَةُ مَاءٍ يَنْظُرُ بِهِمَا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَفِي أُذُنَيْهِ اللَّتَيْنِ يُفَرِّقُ بِهِمَا بَيْنَ الْأَصْوَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ. وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ بَدِيعِ حِكْمَةِ اللَّهِ فِيهِ."

يعني من أدق ما وجد من هذا التمييز تمييز بعض الأشخاص بالشم، يقول كل مخلوق وكل إنسان له رائحته، أعمى يعرف الناس بالشم، لو لم يتكلم، ولا يمس ولا شيئًا يعرفه بنَفَسه، يقول: كل إنسان له رائحة تخصه.

من الغرائب هذه، يعني تمييز الأصوات عند كثير من الناس، جميع الناس، تمييز الألوان، تمييز ما يتعلق بالمدركات، لكن التمييز بالشم هذا عجب.

"وَقِيلَ: {وَفِي أَنْفُسِهِمْ"} مِنْ كَوْنِهِمْ نُطَفًا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنِ انْتِقَالِ أَحْوَالِهِمْ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْمُؤْمِنُونَ بَيَانُهُ".

يعني لو أن الإنسان نظر في نفسه فقط وفي أنفسكم أفلا تبصرون لكفاه ذلك من النظر في جميع الآفاق، ابن القيم- رحمه الله- في التبيان في أقسام القرآن ذكر العجائب مما تشتمل عليه النفس كذلك في مفتاح دار السعادة وغيرها من كتبه، ذكر أشياء غريبة جدًّا من خلق الإنسان، فلو تأملها الإنسان وجد ما يكفيه من الرجوع إلى ربه.

"وَقِيلَ: الْمَعْنَى: سَيَرَوْنَ مَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنَ الْفِتَنِ، وَأَخْبَارِ الْغُيُوبِ.

"{حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ"} فِيهِ أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ:

أَحَدُهَا أَنَّهُ الْقُرْآنُ.

الثَّانِي: الْإِسْلَامُ جَاءَهُمْ بِهِ الرَّسُولُ وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ.

الثَّالِثُ: أَنَّ مَا يُرِيهِمُ اللَّهُ وَيَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ الْحَقُّ.

الرَّابِعُ: أَنَّ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هُوَ الرَّسُولُ الْحَقُّ.

{أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ} فِي مَوْضِعِ رفع بأنه فاعل ب"يكف" وَ" أَنَّهُ" بَدَلٌ مِنْ" رَبِّكَ".

في موضع رفع، وأما لفظه فمجرور بالباء وإلا فالأصل أن ربك فاعل يكفي، والباء حرف جر زائد، ومنع من ظهور رفع الفاعل اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائدة.

" فَهُوَ رَفْعٌ إِنْ قَدَّرْتَهُ بَدَلًا عَلَى الْمَوْضِعِ، وَجَرٌّ" إِنْ" قَدَّرْتَهُ بَدَلًا عَلَى اللَّفْظِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نصبًا بتقدير حذف اللام، والمعنى: أو لم يَكْفِهِمْ رَبُّكَ بِمَا دَلَّهُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِهِ؛ لِأَنَّهُ" عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" وَإِذَا شَهِدَهُ جَازَى عَلَيْهِ.

وَقِيلَ: الْمَعْنَى { أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ"} فِي مُعَاقَبَتِهِ الْكُفَّارَ، وَقِيلَ: الْمَعْنَى" أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ" يَا مُحَمَّدُ أَنَّهُ شَاهِدٌ عَلَى أَعْمَالِ الْكُفَّارِ، وَقِيلَ:" أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ" شَاهِدًا عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. وَقِيلَ:" أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ" مِمَّا يَفْعَلُهُ الْعَبْدُ" شَهِيدٌ"، وَالشَّهِيدُ بِمَعْنَى الْعَالِمِ، أَوْ هُوَ مِنَ الشَّهَادَةِ الَّتِي هِيَ الْحُضُورُ" أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ" فِي شَكٍّ" مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ" فِي الْآخِرَةِ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: أَيْ مِنَ الْبَعْثِ.

{أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ} أَيْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ شيء، قَالَهُ السُّدِّيُّ. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: أَحَاطَتْ قُدْرَتُهُ بِكُلِّ شيء، وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: هُوَ الَّذِي أَحَاطَتْ قُدْرَتُهُ بِجَمِيعِ خلقه، وهو الذي أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا. وهذا الاسم أكثر ما يجيء في معرض الوعيد، وحقيقته الإحاطة بكل شيء، وَاسْتِئْصَالُ الْمُحَاطِ بِهِ، وَأَصْلُهُ مُحْيِطٌ نُقِلَتْ حَرَكَةُ الْيَاءِ إِلَى الْحَاءِ فَسُكِّنَتْ. يُقَالُ مِنْهُ: أَحَاطَ يُحِيطُ إِحَاطَةً وَحَيْطَةً، وَمِنْ ذَلِكَ حَائِطُ الدَّارِ، يحوطها أهلها، وأحاطت الْخَيْلُ بِفُلَانٍ: إِذَا أَخَذَ مَأْخَذًا حَاصِرًا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: { وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ} [الكهف: ٤٢] والله أعلم بصواب ذلك".

يعني إذا كانت الإحاطة من جميع الجهات كإحاطة السوار بالمعصم صح التعبير بالإحاطة من كل وجه، فإذا أحاطت الخيل بالمقاتل أول المقاتلين سميت إحاطة، وإذا كانت من جانب واحد فإنها لا تسمى إحاطة.

اللهم صلِّ على محمد.